



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

الأدب
العالمي
للناشئين

الفرسان الثلاثة

الكسندر دوماس

مهرجان القراءة للجميع



الفرسان الثلاثة

الكسندر دوماس

ترجمة: صبرى الفضل

مقدمة ونبذة عن المؤلف

يعرف مؤلف هذه القصة باسم الكسندر دوماس الأب ، للتمييز بينه وبين ابنه الكسندر دوماس ، الذى كان كاتبا مشهورا أيضا ٠

قام دوماس الأب ، خلال كفاحه فى تعليم نفسه ، بدراسة عميقة للتاريخ الفرنسى ، فكان من نتاجها كتابة العديد من الروايات التاريخية ٠ وكان خياله حيا وخصبا ، صاغه فى مؤلفات عديدة باسمه ٠ يبلغ عددها ٢٥٧ كتابا فى الرحلات والحكايات والروايات وحتى قصص الأطفال ، بالاضافة الى حوالى ٢٥ كتابا

فى المسرح والشعر . ولكن أفضل ما عرف من مؤلفاته هى : الفرســـان الثلاثة ، وعشرون عاما فيما بعد ، والكونت دى مونت كريستو ، والزنبقة السوداء .

وتعد رواية الفرسان الثلاثة من أجمل الروايات التاريخية التى كتبها دوماس ، والتى تجرى احداثها فى فرنســا أيــام الملك لويس الثــالث عشر ووزيره الكاردينال ريشيليو ، وشخصياتها الرئيسية ثلاثة من فرسان الملك مع رفيق لهم ، شـــاب ثائر من جنـود الحرس . كان اخلاصهم لبعضهم البعض لاينفصــــم ، وتمسكوا بايمان راسخ بشعار « الكل للواحد والواحد للكل » . وكانوا جميعا رجال سيف مدهشين ، وكانت سيوفهم تومض بعزم لايخور ، سواء فى خدمة مليكهم أو فى تنفيذ المغامرات الخاصة بهم .

والرواية عبـــارة عن مؤامرات تجرى فى بلاط الملك ، ومبارزات ، ومغامرات شيطانيـة محبوكة فى مهارة فائقة ، ومصاغة فى قالب قصصى رائـع قرأها العالم مرات ومرات ولايزال .

مكان وزمان القصة : فرنسا عام ١٦٢٥ م

الشخصيات الرئيسيه

آتوس
بورتس } الأسماء المستعارة للفرسان الثلاثة ·
ارامیس

دارتنيان : شاب جاسكوني ·

الملك : لويس الثالث عشر ، ملك فرنسا ·

الملكة : آن ، ملكة فرنسا ·

الكاردينال : نيافة الكاردينال ريشيليو ، رئيس وزراء الملك ·

الدوق : دوق باكنجهام ، نبيل انجليزى ثرى ·

ميليدى : سيدة جميلة من عملاء الكاردينال السريين ·

الفصل الأول

الأب وهداياه الثلاث

كان لويس الثالث عشر ملك فرنسا يعتبر نفسه أحد رجال السيف البارعين في مملكته ، ومع ذلك كانوا يسمعونه يقول دائما :

ـ لو كان لي صديق يريد النزال في مبارزة ★ ،

(★) كانت المبارزة عبارة عن قتال بالأســـلحة ، وهي عادة مسدسات أو سيوف ، تقوم بين شخصين بغرض فض نزاع أو خلاف شخصي . وعادة ما يترك ترتيب الموعد والمكان والأسلحة في أيدي أصدقاء المتنازعين الذين عليهم حضور المبارزة ، ليتأكدوا بأنفسهم من مراعاة القواعد والقوانين . وأن القتال كان عادلا . وكثيرا ما كانوا =

ويحتاج لمبارز ، لنصحته أن يختارني أولا ، ثم تريفي ثانية ، بل ربما تريفي أولا .

كان مسيو دي تريفي أحد الأصدقاء المقربين للملك ، وأكثرهم اخلاصا بكل تأكيد . وكان من الضروري في تلك الأيام أن يحيط الملك نفسه برجال مخلصين أمثال تريفي ، ولذلك ، عينه لويس الثالث عشر ، في أول فرصة بعد ما أصبح ملكا ، رئيسا للحرس الملكي الخاص ـ الفرسان .

وكان رئيس وزراء الملك ، الكاردينال ريشيليو يتمتع باحترام لايقل عما يتمتع به الملك ، بل وكان مهابا أكثر من الملك نفسه بكل تأكيد . وعندما رأى الحرس القوي الذي عينه وأشرف عليه مسيو دي تريفي

---

* يتخرطون هم أنفسهم في قتال بينهم بعد ترتيبات مسبقة . وكانت المبارزة بين النبلاء في زمن هذه الرواية عرفا سائدا وتحدث لأهون الأسباب . ولذلك وضع الكاردينال ريشيليو حظرا على المبارزة . وأصبحت المبارزة في كل من انجلترا ، وفرنسا مخالفة للقانون لما يزيد عن ثلاثمائة سنة .

ليحيط بالملك ، قرر ان يكون لديه حرسه الخاص مثلما كان للملك فرسانه . وتبارت هاتان الفرقتان من الرجال الجسورين على ضم أمهر واجرا رجال السيف في صفوفهما .

وكانت المشاجرات ومعارك القتال والهجوم المباغت من الأحداث اليومية في ذلك الزمن ، فيتشاجر النبلاء المتغطرسون ويتآمرون ضد بعضهم البعض ، مع وجود اللصوص والشحاذين المحترفين والمغامرين والأوغاد المستعدين لازعاج أي شخص . وكثيرا ما كان المواطنون أنفسهم يقاتلون هؤلاء الضالين الذين غالبا ما يكونون من النبلاء ، ولكنهم لايعادون الكاردينال مطلقا .

وكان من الطبيعي ، عندئذ ، أن يتاجج فضول المواطنين في ميونج عند سماعهم لأى ضجة أو أصوات مرتفعة بالقرب من فندق « جولي ميلر » ، فاندفعوا وفي يديهم كل ما يمكن استخدامه كسلاح ، نحو الفندق الذي تزاحم الناس أمامه ، يتكلمون ويصرخون . ولم يكن من الصعب اكتشاف سبب الازعاج .

كان سبب الازعاج شابا صغيرا . جاسكوني(*) بلا شك ، اذ من السهل ملاحظة ذلك في العيون المفتوحة الذكية والأنف السوى . وكان جسمه يبدو ضخما بالنسبة لشاب في مثل سنه . وتراه العين البصيرة كأنه ابن فلاح على سفر ، فيما عدا السيف الطويل الملتزق بجانبه .

أ ت جواده انتباه كل الناس ، اذ كان عمره ما بين اثنى عشر وأربعة عشر عاما ، وعليه غطاء أصفر ، وذيل مجرد من الشعر تماما ، وكان يسير ورأسه منخفض عن مستوى ركبتيه ، ويبدو أن هذه هي عادته ، ومع ذلك استطاع أن يسير فراسخه الثمانية يوميا .

(*) مواطن من جاسكونيا مقاطعة بجنوب غرب فرنسا قبل ثورة عام ١٧٨٩ . وكان الجاسكونيون ولا يزالون مشهورين بالتباهي والتفاخر . وهناك قصة تحكي أن جاسكونيا سأله أحدهم عن رأيه في اللوفر - قصر ملكي في باريس - فأجاب قائلا : انه لا بأس به ، فهو يذكرني باسطبلات أبي . والمعروف عن الجاسكونيين أنهم فقراء .

ولم يستطع دارتنيان ـ وهذا هو اسم الشاب ـ أن يحجب عن نفسه المظهر الساخر الذى كان عليه وهو فوق مثل هذا الحصان ، وهو الخيال البارع · لذلك تنهد بشكل عميق ذلك الصباح ، عندما قبل الهدية من أبيه ·· اذ قال السيد الجاسكونى الكبير :

ـ ولدى ، لقد ولد هذا الحصان فى اسطبلاتى منذ حوالى ثلاثة عشر عاما · وخدمنى باخلاص منذ ذلك الحين · وهذا لابد أن يجعلك سعيدا لامتلاكه ·

ثم اردف والد دارتنيان قائلا :

ـ والآن ، حيث انك سوف تشق طريقك فى معترك الحياة بنفسك ، فحافظ على اسم العائلة ، ولا تقبل النقد من أحد سوى الكاردينال والملك · ولا تخش القتال مطلقا . بل ابحث عن المغامرة ، فلقد علمتك كيف تستخدم السيف ، وحارب فى جميع الحالات ·

واضاف الرجل العجوز :

ـ وعندما تصل باريس خذ هذه الرسالة الى مسيو دى تريفى شخصيا ، فلقد كان هذا السيد النبيل جارا سابقا لى · ولقد كان له الشرف أن يتم اختياره مرافقا للملك قبل جلوسه على العرش · وهو حاليا رئيس الفرسان او بالأحرى رئيس الحرس الملكى الخاص · وعلاوة على ذلك ، يكسب مسيو دى تريفى عشرة آلاف كرون (*) سنويا . ولذلك فهو نبيل من النبلاء العظام · ولقد بدأ كما تبدأ انت الآن ·· اذهب اليه بهذه الرسالة . واجعله قدوتك ، لعلك تصبح ناجحا مثله · ليس لدى شيء لأعطيه لك يا ولدى ،

(★) كانت العملة الفرنسية المستخدمة فى زمن هذه الرواية ذات قيمة متغايرة فى اماكن مختلفة من البلاد ، وفى فترات مختلفة : فالجنيه : يساوى الفرنك الملك تقريبا · الكرون : يساوى ثلاثة جنيهات · والبستول : عملة ذهبية تساوى عشرة جنيهات تقريبا · واللويس : عملة ذهبية تساوى اربعة وعشرين جنيها تقريبا . والتى سكت فى عهد الملك لويس الثالث عشر وسميت باسمه ·

سوى خمسة عشرة كرونا ، وجوادى ، والنصيحة التى قدمتها لك .. استفد من هذه الهدايا الثلاث ، وعش سعيدا .. وطويلا .. !

وعلق مسيو دارتنيان بعد ذلك سيفه على جانب ابنه ، وقبله فى وجنتيه ، ومنحه بركاته !

الفصل الثاني

الاهانة والتحدى

عندما وصل دارتنيان الى ميونج ترجــل من على جواده أمام فندق « جولى ميلر » · فلاحظ اثنــاء ذلك رجلا عابسا يقف عند نافذة نصف مفتوحة فى الطابق الأرضى · وكان يتحدث مع شخصين آخــرين ، فى الحجرة من خلفه ، وقد بدا على الرجلين الانصات اليه باحترام غير عادى · واعتقد دارتنيان بالطبع بانه هو موضـوع حديثهم حيث ان الرجل كان ينظر فى اتجاهه بثبات ، ولذلك تصنت لما كانوا يقولون ·

وكان فى الحقيقة مخطئا الى حد ما · اذ اتضح أن السيد يناقش أوصاف الحصان ، وانفجر المستمعون فى

الضحك بشكل متكرر .. ومن السهل تخيل الأثر الذى أنتجه ذلك الحديث عن دارتنيان . حيث ان نصف ابتسامة كانت كافية فى تعكير مزاج الشاب الصغير السهل الاثارة .

وفى هذه اللحظة نفسها . أبدى السيد ملاحظة مضحكة عن الحصان .. فضحك الآخران بصوت أعلى من قبل ، وحتى هو سمح لابتسامة باهتة ان تظهر على وجهه ، رغم غرابة ذلك . وتأكد دارتنيـــان فى هذه المرة . بلا أدنى شك ، فى أنه قد أهين ، واقتناعا منه بذلك تقدم نحوهم قائلا ، ويده على مقبض سـيفه والأخرى على خاصرته :

ـ أقول يا سيدى ، أنت يا سيدى ، يا من تخفى نفسك خلف النافـذة .. اخبرنى على ماذا تضـحك وسوف نضحك سويا !

أدار السيد عينيه ببطء من الحصان الى صاحبه ، وكأنه يطلب بعض الوقت ليتأكد من أن هذا الكلام موجه

اليه . وبعد أن زايله اى شك فى الحقيقة ، عبس واجاب على دارتنيان بطريقة مترفعة :

ـ اننى لم اكن اكلمك !

فاجاب الشاب الذى شاط غضبه بهذا الخليط من الأدب والاحتقار :

ـ ولكنى أتكلم معك !

فنظر اليه السيد المجهول ثانية بابتسامة باهتة وغادر النافذة . ثم خرج من الفندق ، ووقف أمام الحصان على مسافة خطوتين من دارتنيان . ثم قال :

ـ أكان هذا الحصان زهرة برية فى صباه ؟ فلونه معروف جدا بين الزهور . ولكنه حتى الآن نادر جدا بين الجياد !!

كان يوجه قوله للرجلين اللذين مازالا يقفان عند النافذة . متجاهلا دارتنيان كلية .

فصرخ الشاب فى عوله عصبه .

ـ هناك اناس يضحكون على حصـــان ، ولكنهم لا يجرءون أن يضحكوا على سيده !

فقال السيد المجهول :

ـ اننى عادة لا أضحك يا سيدى . ولكن مع ذلك اضحك عندما يسرنى ان أفعل ذلك .

فصاح دارتنيان :

ـ وأنا سوف لا اسمح لأى انسان أن يضحك عندما يسوءنى ذلك .

فاردف السيد بهدوء :

ـ أهكذا يا سيدى ؟

واستدار على عقبيه ليدخل الفندق ثانية .

ـ التفت ! التفت ! مسيو جوكر والا سوف أضربك من الخلف .

فقال الآخر ملتفتا للشاب وناظرا اليه بكثير من الاندهاش والاحتقار :

ـ تضربني ! لماذا ! يا صـــاحبي الطيب . لابد انك مجنون !

ثم أردف في نبرة منخفضة وكانه يحدث نفسه :

ـ انه لشيء مزعج !

ولم يكد ينتهي من قول ذلك حتى انقض دارتنيان بهجوم هائــج ، ولو لم يقفز السيد بسرعة للخلف ، لكانت هذه آخر مزحة له . وعندما رأى أن الشاب جاد حقا ، سحب المجهول سيفه ووقف في وضع دفاعي .. وفي نفس الوقت هجم الرجلان من الفندق ، مع صاحب الفندق نفسه على دارتنيان بالعصي الثقيلة . وعنـدما التفت دارتنيان لمواجهة وابل الضربات ، غمد المجهول سيفه بهدوء ، وبدلا من انضمامه في قتال لعل اكتفى بان أصبح متفرجا . وأصبح باردا مطمئنا . ومع ذلك تمتم لنفسه :

ـ اللعنة على هؤلاء الجاسكونيين ! .. ضعوه على حصانه الأصفر وابعدوه !

فصاح دارتنيان بشجاعة :

ـ ليس قبل أن أقتلك ياجبان !

ووقف ثابتـــا فى وجه مهاجميه الثلاثة الذين استمروا يمطرونه بالضربات . وهمهم السيد :

ـ بشرفى ، ان هؤلاء الجاسكونيين متهوررون ! دعـوه يرقص هكذا اذن ، طالمـا أنه يرغب فى ذلك ، وعندما يتعب فربما سيقول بأنه اكتفى !

ولكن لم يكن يعرف المجهول ، الشخص ذا العزم والتصميم الذى عليه أن يتعامل معه ، فلم يكن دارتنيان بالرجل الذى يطلب العفو .. لذلك استمرت المعركة الراقصة حتى أسقط دارتنيان سيفه مكسـورا نصفين بضربة من عصا ! وبضربة أخرى على راسه غير المحمى حاليا طرحته أرضا مثخنا بالجراح وفاقد الوعى تقريبا .

وتجمع الناس فى هذه اللحظة من جميع الجهات .. وخوفا من العواقب حمل صاحب الفندق الشـاب المجروح الى المطبخ ، وأمر بتنظيف جروحه وتضميدها .

الفصل الثالث

ميليدى تقابل المجهول وتتلقى التعليمات

عاد السيد الى غرفته وراقب الزحام من النافذة بصبر نافد · وكان ضيقه واضحا لأنهم لم ينفضوا ذاهبين ، واستفسر من صاحب الفندق ، الذى جاء يسأل بادب عن ضيفه ان كان قد اصيب باى أذى :

ـ حسن ،.وكيف حال هذا الفتى المجنون ؟

فرد عليه مستفسرا :

ـ آمل يا صاحب السعادة أن تكون سالما معافى ·

ـ أوه ، أجل ، سالما ومعافى تماما ·· ماهى اخبار الأحمق الصغير ؟

فقال صاحب الفندق :

ـ انه نحسن حالا ، لقد اغمى عليه فقط :

فقال السيد :

ـ حقا ؟!

ـ لكن قبل ان يغمى عليه جمع كل قواه ليتحداك ويدعوك للمبــارزة . وقال ان كان ذلك حــدث في باريس لكنت نممت عليه بسرعة .

فقال السيد بيرود :

ـ اذن ، لا بد انه أمير متخفي .. هل ذكر اسم اى احد وهو في ثورة غضبه ؟!

ـ أجل ، لقد دس يده في جيبه وقال « سوف نرى ما ينويه مسيو دى تريفى ازاء هذه الاهانة الموجهة لمن هو في حماه » .

فقال المجهول متنبها :

ـ مسيو دى تريفى .. دس يده في جيبه وهو ينطق اسم مسيو دى تريفى ! .. والآن . يا عزيزى ..

بالتأكيد لم تغفل ، أثنـاء ما كان الفتى فاقد الوعى . أن تكتشف ما كان فى جيبه . ماذا كان فيه ؟

ـ رسالة موجهة الى مســيو دى تريفى رئيس الفرسان .

فهمهم الرجل لنفسه :

ـ ترى هل أرسل تريفى هذا الشاب الجاسكونى خصيصا ليهاجمنى ؟ انه .. انه صغير جدا .. ولكن طعنة السيف هى طعنة السيف ، مهما كان عمر من يطعنها .. بالاضافة الى ان الشاب الصغير ليس محل شبهة مثل الرجل الكبير .

وبقى فى تفكير عميق لبعض الوقت ثم قال :

ـ الا تستطيع أن تتخلص من هذا الولد المجنون من أجل ؟ ففى الحقيقة لايمكننى قتله . رغم أنه يزعجنى .. أين هو ؟

ـ فى غرفة بالطابق الأول . حيث يضمدون له جروحه .

ـ هل اغراضه وحقيبته معه ؟ هل خلع ثيابه ؟

ـ كل شيء موجـــود فى المطبخ ، ولكن هـل يضايقك هذا الولد الأحمق ؟!

ـ بالتأكيد يضايقني . ولقد تسبب فى ازعاج عام بفندقك ، ولا يحب الناس المحترمون هذا . اذهب وجهز لى فاتورتى ، وبلغ خادمى بالاستعداد للرحيل .

ـ ماذا ! يا صاحب السعادة ، هل ستغادرنا بهذه السرعة ؟

ـ انت تعلم باننى كنت مغادرا ، حيث قد أعطيت أوامرى باعداد حصانى ، ألم تنفذ هذه الأوامر ؟!

ـ لقد تم تنفيذ اوامرك ، ولعلك لاحظت ياصاحب السعادة أن حصانك جاهز أمام البوابة بعد أن سرجوه .

ـ فلتأتنى بالفاتورة اذن .

وبنظرة آمرة من السيد انحنى صاحب الفندق بتواضع ، وخرج من الغرفة .

وهمهم الغريب لنفسه :

ـ ليس من الضرورى ان يرى هذا الشخص ميليدى ، وهى الآن فى طريقها الى هنـــا ٠٠ بل لقد تأخرت عن موعدها ٠ من الافضـــل ان أمتطى صـــهوة جوادى ، واذهب للقائها ٠٠ ولكنى احب ان اعرف مافى هذه الرسالة الموجهة الى مسيو دى تريفى ٠

واتجه بعدئذ ببطء نحو المطبخ ٠

وفى هذه الاثنـــاء ، ذهب صاحب الفندق الى دارتنيـــان حيث وجده يستعيد وعيه ، فاخبره بـــان الشرطة قد تتعامل معه بشدة لأنه تشاجر مع ســـيد عظيم ، واصر على أن يغادر دارتنيـــان الفندق باسرع ما يمكن ٠

فنزل دارتنيان السلم وهو مازال نصف واع ، ورأسه معصوب ، ودخل الى غرفة بالطابق الأرضى ، وعندما نظر من النافذة رأى السيد المجهول يتكلم بهدوء الى شخص ما فى عربة يجرها حصانان رائعان ٠

كان يمكنه رؤية الشخص الذى يتحدث معه بوضوح من خلال نافذة العربة ورأى دارتنيان فى لمحة واحدة أنها سيدة فى حوالى الثانية والعشرين من عمرها. تتمتع بجمال اخاذ ·· شقراء ، رفيعة ، ذات خصلات شعر ملتوية طويلة تسقط فوق كتفيها ·· وعيناها واسعتان زرقاوان وحالمتان ·· وشفتاها ورديتان ·· ويداها بيضاوان ناعمتان ·· وكانت تتحدث بطريقة منفعلة مع المجهول ·

وقالت السيدة :

ـ لقد أمرنى نيافته ··

ـ أن تعودى الى انجلترا فى الحال ، وان تخبرى دوق باكنجهام (*) أن يغادر لندن فورا ·

(★) كان لدى الكاردينال ريشيليو الأسباب فى أن يرتاب فى أن دوق باكنجهام على وشك المغامرة بالقيام بزيارة سرية لباريس لمقابلة الملكة · وكان ريشيليو يعى جيدا أن الاثنين مغرمان ببعضهما وكان يأمل بواسطة جواسيسه أن يحصل على دليل لإدانتهما

فسالت المسافرة الشقراء :

ـ وماذا بخصوص الملبسات الأخرى ؟

ـ انها موجوده فى هذا الصندوق الذى لايجب ان تفتحيه قبل أن تصل الى انجلترا .

ـ حسن جدا . وأنت ؟ ماذا ستفعل ؟

ـ ساعود الى باريس .

فقالت السيدة مستفسرة :

ـ ماذا ؟ ألن نعاقب هذا الولد الوقح أولا ؟

وعندما كان المجهول على وشك الاجابة ، اندفع دارتنيان ، الذى كان يسترق السمع ، خارجا . وصاح :

ـ ان هذا الولد الوقح يعاقب الآخرين . وآمل الا يهرب ، هذه المرة ، من يجب معاقبته ، كما حدث من قبل !

فاجاب المجهول عابسا :

ـ الا يهرب ؟

ـ بل ، انك لن تجرؤ على الهرب أمام امرأة على ما أعتقد .

فقالت ميليدى للمجهول الذى وضـــع يده على سيفه :

ـ تذكر ، تذكر ان أقل تاخير سيدمر كل شيء .

فصرخ السيد :

ـ انك على صـــواب ، اذهبى اذن فى طريقك ، وساذهب أنا فى طريقى بأسرع ما فى طاقتى !

وانحنى للسيدة ثم قفز فوق حصانه . وانطلقت هى فى عربتها فى الحال . وهكذا تفرق الاثنان سالكين اتجاهين متضادين بأسرع ما يمكنهما .

وصـــاح صاحب الفندق ، الذى تغير رأيه فى المسافر عند رؤيته يغادر بدون تسديد حسابه :

ـ فاتورتك !

فصرخ المجهول فى خادمه :

ـ ادفع له :

فالقى الرجل بعدد من القطع الفضية الى صاحب الفندق ، ثم ركض خلف سيده ·

وصرخ دارتنيان مندفعا الى الامام :

ـ جبان ! جنتلمان مزيف !

وما كاد يسير عشر خطوات الا وهاجمته حالة اغماء ، فسقط فى الشارع وهو لايزال يصرخ :

ـ جبان ! جبان !

ووافق صاحب الفندق ، معتقدا أن كلمة نفاق صغيرة لن تسبب أى ضرر :

ـ حقا انه جبان !

فهمهم دارتنيان :

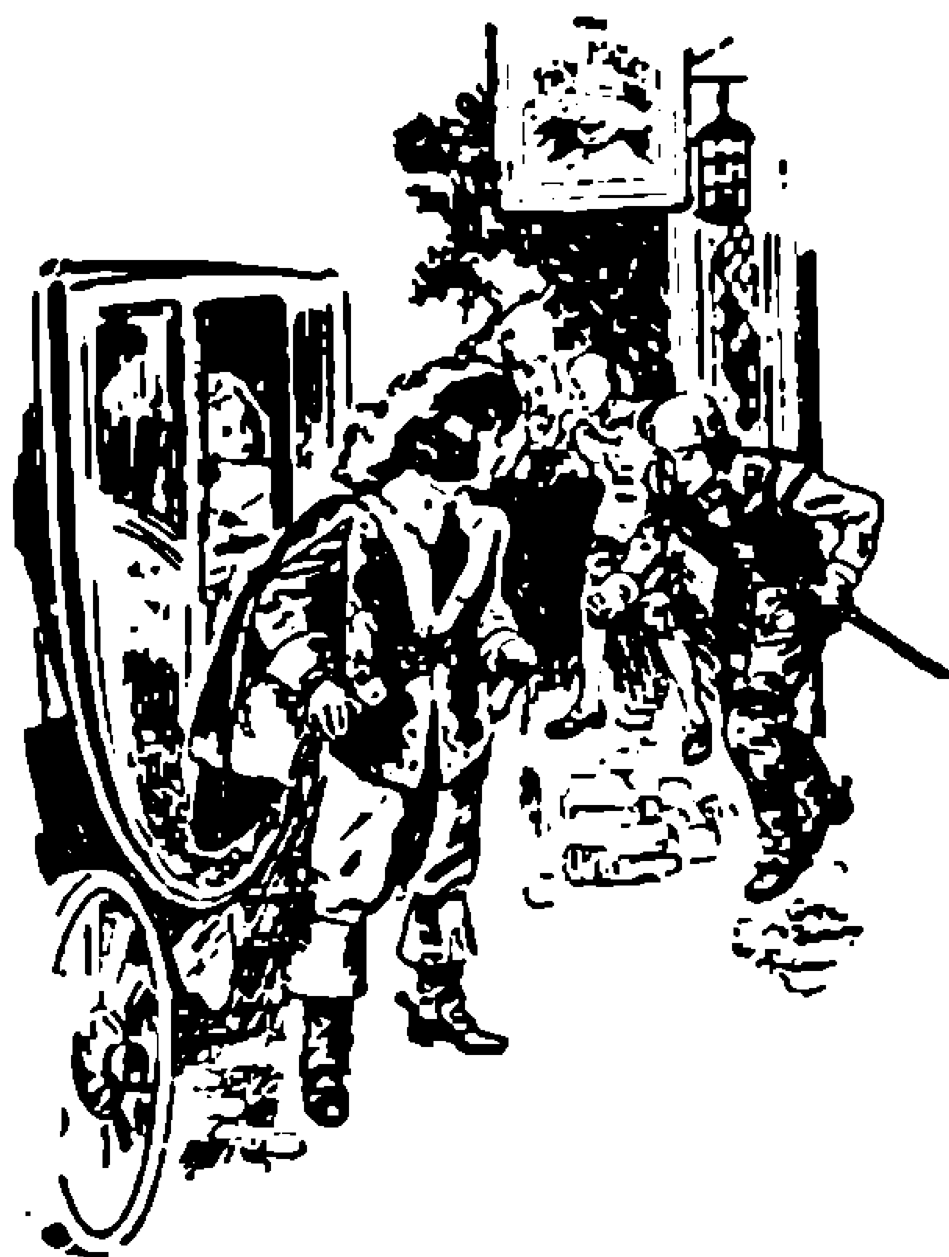
ـ أجل .. جبان .. ولكن الفتاة جميلة حقا !

فسأله صاحب الفندق :

ـ من هي ؟

فهمس دارتنيان وهو يغمى عليه ثانية :

ـ ميليدي .. !!



واندفع دارتنيان خارجا

الفصل الرابع

بحث دارتنيان بلا جدوى عن رسالة التوصية يلفت نظر صاحب الفندق

وفي الصباح التالي عالج دارتنيان جروحه ، ووضع ضمادات جديدة حولها • وصار دارتنيان ذلك المساء بعد أن أصبح معافى ثانية تقريبا في اليوم التالي، والفضل في ذلك يرجع لشبابه دون شك ، وربما لغياب الطبيب أيضا ؟

وعندما جاء موعد تسديد الحساب ، كانت النقود التي في حوزته تكاد تكفي لحساب الغرفة ووجبة واحدة والضمادات •• علاوة على أن حصانه ـ حسب قول صاحب الفندق ـ قد أكل ثلاثة أضعاف أي حصان في

مثل حجمه .. ولم يجد دارتنيان فى جيوبه سوى نقوده ، أما الرسالة الموجهة لمسيو دى تريفى . فقد اختفت !!

وبدأ الفتى بحثه عن الرسالة فى صبر عظيم فقلب فى جيوبه مرات ومرات ، وبحث فى حقيبته بكل دقة ، ولما تأكد فى النهاية أن الرســـالة غير موجودة بالفعل استشاط غضبا فى هياج رهيب ، وعندما رأى صاحب الفندق أن الفتى الهائج على وشك أن يحطم كل شىء بالفندق ، اذا لم يجد رسالتـه . أمسك بقضيب المدفأة ، وامسكت زوجته بيد المكنسة ، والخدم بالعصى التى استخدموها فى اليوم الســابق .

وصاح دارتنيان :

ـ رسالة التوصية الخاصة بى ! رسالة التوصية ، والا أقسم بأن أمزقكم جميعا اربا اربا ؟ ولسوء الحظ كانت هناك عقبة كأداء ضد تنفيذ تهديده ، فلقد تحطم سيف دارتنيان الى قطعتين ، وهذا ما قد نسيه الفتى . وبالتالى ، عندما سحبه وجد نفسه مسلحا بقطعة سيف طولها حوالى عشر بوصات وقال خافضا سلاحه :

ـ على كل ، أين هذه الرسالة ؟

وبعد فترة صمت صرخ دارتنيان ثانية :

ـ اجل ، اين هي ؟ دعني أحذرك بان الرسالة هي لمسيو دي تريفي ، ويجب العثور عليها ، واذا لم يتم ذلك ، فسيعرف هو كيف يعثر عليها ، وسترى !

وانهى صاحب الفندق ، بعد هذا التهديد ، الموقف على نحو حاسم ، فالقى بقضيب المدفاة الذي في يده ، وامر زوجته بأن تفعل بيد المكنسة نفس الشيء ، وبدأ يبحث في نشاط عن الرسالة .. ومع ذلك خطرت لديه فكرة بعد فترة ، فصرخ فجأة :

ـ ان هذه الرسالة لم تضع .

فاستفسر دارتنيان :

ـ ماذا ؟

ـ كلا . لقد سرقت منك !

ـ سرقت ؟ ومن الذي سرقها ؟

ـ السيد الجنتلمان الذى كان هنا بالأمس · فلقد نزل الى هذه الغرفة حيث تركت ملابسك ، وظل هنا لفترة ·· لابد وأنه سرقها ·

فقال دارتنيان وهو لايزال غير مقتنع :

ـ هل تظن ذلك ؟

فواصل صاحب الفندق قائلا :

ـ أقول لك اننى متأكد ·· فعندما أخبرته بانك فى حماية مسيو دى تريفى ، بل ومعك رسالة الى هذا السيد النبيل ، بدا عليه الاضطراب الشديد ، وسأل عن مكان الرسالة ، وفي الحال نزل بعد ذلك الى هنا حيث علم انك تركت سترتك واغراضك ·

فاجاب دارتنيان :

ـ اذن ، فلابد أنه لص · ساشكو للسيد دى تريفى ·· و ·· وسيشكو هو للملك ·

ثم أخذ . كرونين بطريقة مهيبة ، من محفظته

اعطاها لصاحب الفندق ، الذى رافقه وقبعته فى يده حتى باب الفندق . واعتلى دارتنيان صهوة حصانه الاصفر الذى حمله دون حادث ، حتى بوابة سان أنطوان بباريس . وهناك باع حصانه مقابل ثلاثة كرونات .. وهو سعر ممتاز !

وهكذا دخل المغامر الصغير باريس على قدميه .. حاملا ممتلكاته القليلة فى حقيبة تحت ذراعه . وبعد بحث قصير ، عثر على غرفة للايجار مناسبة لظروفه المالية المحدودة . وذهب بعد ذلك للحصول على نصل جديد ليضعه فى جراب سيفه . وفى طريق عودته سال أول فارس رآه عن عنوان مقر رياسة مسيو دى تريفى ، الذى اتضح انه قريب تماما من السكن الذى استاجره دارتنيان .

وعندئذ ذهب الى فراشه ، ونام نومة شجاع راض بالطريقة التى تصرف بها فى ميونج ، وبدون أى اسف على الماضى .. وبثقة فى الحاضر .. وأمل كامل فى المستقبل .

الفصل الخامس

دارتنيان يعجب باللعب بالسيف على السلالم ، ويبهره شريط الكتف

كان فرسان الملك مجموعة من الأفراد الشجعان لعماريت . وكانوا لايتقيدون بالانضباط نحو الجميع فيما عدا نحو رئيسهم مسيو دى تريفى .. كان يمكن رؤيتهم فى كل مكان يضحكون . ويتحدثون بصوت عال . ويفتلون شواربهم . ويصلصلون بسيوفهم . وكانوا يجدون متعتهم الكبرى فى مضايقة حرس الكاردينال كلما سنحت الفرصة للالتقاء بهم . ولا يعبأ هؤلاء الرجال كثيرا بقانون حظر القتال فى المبارزات .. وأحيانا يقتلون .. ولكن غالبا ما يقتلون .. وهم

متأكدين من عدم بقائهم فى السجن طويلا .. فمسيو دى تريفى موجود للمطالبة باطلاق حريتهم .

وكان مديح هؤلاء الرجال لمسيو دى تريفى يصل عنان السماء ، فهم يكادوا يعبدونه . وبرغم انهم كانوا جسورين ، الا أنهم كانوا مطيعين لادنى كلمة منه ، ومستعدين للتضحية بانفسهم لغسل أصغر اهانة له . او للفرسان الذين يرأسهم .

كان مقر رياســة مسيو دى تريفى فى باريس يشبه معسكرا مسلحا فى جميع الأوقات . ولايوجد أقل من خمسين أو ستين فارســا متجمعين فى الساحة والممرات . وكان يحل أحدهم محل الآخــر عندما لايكونون فى الخدمة بالقصر حتى يحافظوا على المظهر الجليل بقدر الامكان . فكانوا يسيرون حول القصر بافتخار مسلحين حتى أسنانهم ، ومستعدين لأى شىء .

كان التجمع يبدو فى شــكل مهيب عندما قدم دارتنيان ، وكأنه شخصية ذات أهمية عظيمة فى زيارة لمسيو دى تريفى .. وبمجرد مرور دارتنيان من أبواب

المدخل الضخمة والمغطاة بالمسامير ذات الرؤوس المربعة الكبيرة ، وجد نفسه وسط عدد من رجال السيف البارعين ، يتداعبون ويتشاجرون بشكل هزلي مع بعضهم البعض ، ولا يصطفون جانبا الا لضابط أو لنبيل او لسيدة .

وتقدم الفتى بقلب يخفق في وسط هذه الضجة ، وتنفس بحرية أكثر عند اجتيازه احدى المجموعات ، ولكنه لاحظ أنهم يرمقونه باهتمام .. واحس دارتنيان لأول مرة في حياته ، وهو المعتز بنفسه ، بشيء من عدم الراحة .

وزاد قلقه عند وصوله الى مهبط سلم عريض كبير . فهناك أربعة فرسان ، على السلالم ، يسلون انفسهم باللعب بالسيف بينما يقف حولهم عشرة آخرون او أكثر ينتظرون دورهم .. كان احد الأربعة يقف على سلمة عليا ، وسيفه العاري في يده محاولا منع الثلاثة الآخرين من الصعود . وأخذ هؤلاء الثلاثة يبارزونه بسيوف عاقدة العزم ضده ، ولكن الفارس المبارز احتفظ بالتفوق على غرمائه الثلاثة بشكل ماهر !

ويبدو أن القاعدة كانت ان يخطو جانبا أى رجل يتم لمسه . ويأخذ محله شخص آخر . وأصاب المدافع عن السلم في خلال خمس دقائق . ثلاثة بجروح طفيفة . واحد في اليد وآخر في الذقن وثالث في الأذن . وظل هو سليما لم يمس .. ولم ير دارتنيان مثل هذه المهارة وهذه الجرأة مطلقا .

وبعد فترة لاحظوا وجوده فجاءه رسول يسأله عما يريد . فاعطى اسمه بتواضع . وطلب مقابلة قصيرة مع مسيو دى تريفى . فوعده الرسول بأخذ هذا الطلب الى الرئيس . واصبح وقت دارتنيان يسمح له حاليا بالفرجة على من حوله .

كان في منتصف هذه المجموعة المفعمة بالحيوية فارس يبدو متغطرسا . وكان يرتدى ملابسه بطريقة مختلفة للفت الانتباه العام . لم يكن يرتدى عباءة الزى الموحد مثل الآخرين ، بل سترة زرقاء سماوية باهتة وبالية بعض الشيء . ومن فوقها شريط كتف رائع . مطرز بالخيوط الذهبية التى تلمع كتموجات الماء في الشمس . تتدلى من على كتفه العريضين عباءة طويلة من

القطيفة القرمزية مفتوحة من الأمام لتظهر هذا الشريط الرائع والذى يتعلق فيه أكبر سيف رآه دارتنيان فى حياته ٠

ويبدو ان هذا الفارس قد أتى لتوه من حراسة القصر ٠ كان يشكو اصابته بالبرد بأن يسعل من وقت لآخر لاثبات ذلك ، واخبر من حوله بانه ارتدى عباءته بسبب هذا البرد ٠ وعندما كان يتفوه بذلك بشكل مترفع كان يفتل شاربه مختالا ، والجميع معجبين بشريط كتفه المزين بشكل جميل ٠٠ وكان اعجاب دارتنيان به يفوق الجميع ٠

وقال من يدعونه بورتس :

ـ بشرفى ، لقد اشتريتها بنفسى بكل ما فى محفظتى ٠

فقال احد الفرسان ضاحكا :

ـ ربما ، بنفس الطريقة التى اشتريت أنا بها

هذه المحفظة الجديدة بالنقود التي وضعها أحدهم في المحفظة القديمة ٠

فقال بورتس :

ـ ومع ذلك ، فهذا حدث ٠٠ والدليل أنني دفعت فيها اثنى عشر بيستولا ٠ ثم أردف قائلا وهو يلتفت الى فارس آخر :

ـ اليس كذلك يا أراميس ؟

كان هذا الفارس ، الذى يناشده التأكيد على كلامه ، على النقيض من بورتس كلية ٠ كان شابا في الثالثة والعشرين تقريبا ، نادرا ما يتكلم ، وعندما يتكلم فببطء وبهدوء ، وكان ينحنى كثيرا جدا بطريقة مؤدبة ونبيلة ٠٠ وأجاب مناشدة صديقه بايماءة من راسه ، رغم أنه لا يبدو ملتفتا مطلقا لتباهى بورتس ٠

بدا هذا التأكيد مبددا لجميع الشكوك في أصل شريط الكتف الرائع هذا ٠ ورغم استمرار اعجاب الفرسان به الا أن المحادثة تحولت الى موضوعات أخرى٠

وخرج بعد ذلك الرسول من مكتب مسيو دى تريفى وصاح :

ـ مسيو دى تريفى ينتظر مسيو دارتنيان ٠

وقف الجميع صامتين ، عند سماع هذا البلاغ ، وظل باب المكتب مفتوحا ٠ وعبر الفتى القاعة بطولها وسط هذا الصمت ودخل المكتب الخاص برئيس الفرسان ٠

الفصل السادس

استقبال دارتنيان رسميا ، وسماعه أكثر مما يتوقع

كان مسيو دى تريفى فى هذه اللحظة متعكر المزاج نوعا ما ٠ ومع ذلك ، ابتسم لسماعه أول كلمات دارتنيان ، الذى انحنى تماما حينما دخل ٠٠ لقد أعادت لذاكرته الطريقة الجاسكونية فى الحديث أيام شبابه وموطنه ، ولكنه أشار اليه بالانتظار قليلا وخطا نحو الباب ، ونادى بصوت مرتفع آمر :

ـ آتوس ! بورتس ! أراميس !

ترك فى الحال الفارسين اللذين أجابا على الاسم الثانى والثالث من رفاقهم ، وأسرعا الى المكتب ٠

اخذ مسيو دى تريفى يذرع الغرفة ذهابا وايابا فى صمت وعلى حاجبيه تكشيرة عميقة ، مارا أمام بورتس وأراميس الواقفين فى اعتدال وكأنهما فى استعراض عسكرى .. ثم توقف فجأة أمامهما مباشرة ملقيا عليهما بنظرة غاضبة من رأسيهما الى أخمص قدميهما ، وصاح قائلا :

- هل تدرون ما قاله لى الملك مساء الأمس فقط ؟ هل تدرون يا سادة ؟

فأجاب الاثنان بعد فترة صمت :

- كلا ياسيدى .. كلا ياسيدى ، لاندرى ..

- لقد أخبرنى بانه سيختار فرسانه من بين حرس الكاردينال فى المستقبل !

فاحمر وجه الفارسين بالحنق على الاهانة .. وشعر دارتنيان بالحرج الشديد ، وتمنى أن ينزل مائة قدم تحت الأرض .

واستمر مسيو دى تريفى قائلا ، وغضبه يزداد حدة :

ـ أجل ، أجل ، لقد كان جلالته على حق · ولقد نص الكاردينال على الملك بالأمس أثناء لعبه الشطرنج معه ، كيف قمتم بالشغب ، أنتم يا فرسان يامتبجحون، يا من تتحدون الشياطين ·· وكيف اضطر حراسه للقبض عليكم ·· لقد ظننت أنه يسخر بى ·· ياللسماء ! لا بد أن لديكم علما بذلك ·· يقبضون على فرسانى ! لقد كنتم بينهم ، بينهم ! لاتتكروا ذلك : لقد تعرف عليكم الكاردينال وذكر أسماءكم ·· وانت يا اراميس لماذا طلبت الزى الرسمى بينما كان من الأفضل لك أن تدرس فى الدير ؟ وانت يابورتس هل يتدلى سيف من القش من على شريط كتفك الجميل ؟ وآتوس ـ اننى لا أرى آتوس ؟ أين هو ؟!

فأجاب اراميس فى نبرة آسفة :

ـ سيدى ، انه مريض جدا ·· مريض جدا ·· !

ـ مريض ٠٠ تقول مريض جدا ؟

فاجاب بورتس حتى لا يبقى خارج المحادثة :

ـ أجل ياسيدى ، بكل أسف !

ـ مريض ! لا اعتقد ذلك ٠ فالاكثر احتمالا أنه جريح ٠٠ أو ربما قتل ٠ آه !

لو اعلم ٠ لن أسمح ، يا سادة ، بهذا التردد على قاعات الشرب ولا بهذه المشاجرات فى الشوارع ، ولا بهذا اللعب بالسيف فى الأماكن العامة ٠٠ وفوق كل شىء لن أسمح باعطاء الفرصة لحرس الكاردينال ان يضحك عليكم ٠٠ شىء جميل أن يقال عن فرسان الملك ٠٠ فرسانى ، انهم يهربون ، يختفون لينقذوا أنفسهم!٠

ارتعد بورتس وأراميس حنقا عند هذه الملاحظة ٠ كان يمكنهما قتل مسيو دى تريفى عن طيب خاطر ، لو لم يعرفا أن حبه العظيم لهم ، كفرسانه ، هو الذى حمله يتكلم بهذه الطريقة ٠

واستمر مسيو دى تريفى يقول لجنوده غاضبا :

ـ تفكروا فى ذلك ! فرسان الملك يتم القبض عليهم من قبل حرس الكاردينال ؟! ·· ماذا ! ستة من حرس الكاردينـــال يقبضـــون على ستة فرســان ! يا للســماء ! ·· ساذهب مباشرة الى القصر · سأسلم استقالتى للملك ، ثم التحق بحرس الكاردينـــال (ينظر مباشرة الى أراميس) · واذا رفضنى سادخـل الدير !

فقال بورتس ، وهو بالكاد يتمالك نفسـه :

ـ حسن يا سيدى ، كنا ستة ضد ستة حقا ·· لكننــا لم نؤسر بطرق مشروعــة ، اذ قتلوا اثنين من فريقنا ، وجرحوا آتوس بشدة ، قبل أن يكون لدينا وقت لسحب سيوفنا · انت تعرف آتوس يا سيدى · انه ليس جبانا ·· انه لم يستســلم ! كلا ! لقد سحبونا عنوة ، ومع ذلك تمكنـــا من الهرب فى الطريق ·· واعتقدوا أن آتوس قد مات فتركوه ، ولم يفكروا فى

ازعاج انفسهم بحمله · هذه هي القصة كلها· ياللسماء!
فالانسان لايستطيع أن يكسب كل معاركه ياسيدى !

وقال اراميس :

ـ واستطيع ان اؤكد لك بانني قتلت احدهم بسيفه هو لأن سيفي قد كسر من أول ضربة ·

فاجـــاب مسيو دى تريفى فى نبرة اهدأ بعض الشيء :

ـ لم اعرف ذلك ·· اعتقد ان الكاردينال بالغ ، كما يفعل دائما !

فقال اراميس :

ـ ولكن ، أتوسل اليك يا سيدى ·· لاتقل ، من فضلك . ان آتوس قد جرح ، فسوف يكون فى حالة يائسة · اذا سمع الملك بذلك · فالجرح خطير ، ويخشى ان ···

ارتفعت في هذه اللحظة الستارة التي فوق الباب، وظهر منها وجه نبيـل جميل ، ولكنه شاحب بشكل مخيف ، فصرخ الفارسان :

ـ آتوس !!

وصرخ مسيو دي تريفي :

ـ آتوس !!

فقـال آتوس وهو واقف مكانه بجانب البـاب لمسيو دي تريفي بصوت ضعيف ولكنه كامل الهدوء :

ـ لقد ارسلت لي يا سيدي ٠٠ هكذا أخبرني زملائي ٠٠ ولقد أسرعت لأتلقى أوامرك ٠٠

وبعد أن انتهى من كلامه ، دخـل الفارس الى المكتب بخطوة بطيئة ، مرتديا زيه على أكمل وجه ٠ وقد تأثر مسيو دي تريفي بهذا الدليل على الشجاعة ، فخطا نحوه وقال :

ـ كنت على وشك ان اقول . للسادة ، انني امنع فرسانى ان يعرضوا حياتهم للتهلكة بشكل غير ضرورى ·· فالرجال الشجعان أعزاء جدا لدى الملك ، وهو يعرف فرسانه ·· اشجع اهل الأرض ·· !

كانت الاثارة التى نتجت عن وصول آتوس قوية ، حتى تجمع حشد خارج الباب نصف المفتوح · ورغم ان جرحه معروف لجميع الفرسان ، الا أنه ظل سرا على الآخرين · وعند سماع هذه الكلمات الأخيرة للرئيس، لم يستطيعوا كبت همهماتهم المعبرة عن رضاهم ، وبدات تظهر رؤوس عديدة من خلف الستارة ·· وكان مسيو دى تريفى على وشك ان يكلمهم بشدة عن قلة النظام والفوضى . عندما سقط آتوس مغمى عليه ·

وصرخ مسيو دى تريفى :

ـ طبيب ! طبيبى ! طبيب الملك ! أفضل طبيب يمكن الحصول عليه !



آتوس وبورتس وارامیس

واندفع عدد من الفرسان عند سماعهم الصياح الى المكتب ، وتجمهروا حول الرجل الجريح • ولحسن الحظ تصادف ان كان الطبيب موجودا بالمبنى ، فاندفع من بين الحشد وطلب حمل الفارس الى غرفة أخرى ، ففتح مسيو دى تريفى بابا جانبيا ، وافسح الطريق لبورتس وأراميس اللذين حملا رفيقهما فورا •

وعاد بورتس واراميس فى الحال تاركين الطبيب ومسيو دى تريفى وحدهما مع آتوس •

وبعد برهة وجيزة ، عاد مسيو دى تريفى وأبلغ الجميع بنفسه بأن حالة الفارس ليس فيها ما يسبب الانزعاج ، وأن ضعفه ببساطة كان بسبب فقدانه للدم•

وعندئذ أشار مسيو دى تريفى بيده ، فترك الجميع المكتب فيما عدا دارتنيان ، الذى لم ينس انه تم استقباله رسميا ، فظل مكانه هكذا فى تصميم واصرار جاسكونى •• !!

الفصل السابع

دارتنيان يتلقى نصيحة حكيمة ، ولكنه يعيرها قليلا من الانتباه

عندما غادر الجميع ، واغلق الباب ، التفت مسيو دى تريفى فوجد نفسه بمفرده مع الفتى الصغير ، فقال له مبتسما :

ـ معذرة ، معذرة ، لقد نسيتك تماما . ولكن ماذا يمكننى أن افعل ؟ .. فالرئيس أكثر من أب لأسرة ، بل هو محمل بمسئوليات اعظم من رب أسرة عادية !

فابتسم دارتنيان ، وحكم مسيو دى تريفى بهذه

الابتسامة ان زائره ليس بأحمق . وهكذا غير مجرى الحديث ، وجاء للب موضوعه ، وقال :

ـ اننى أحترم والدك جدا .. ماذا يمكننى أن اقوم به من أجل ابنه ؟ .. أرجوك ، كن سريعا ، فوقتى ليس ملكى !

فقال دارتنيان :

ـ لقد جئت وفى نيتى طلب زى الفرسان ، ولكن بعد كل ما رأيته هذا الصباح أخشى ألا استحق ذلك الامتياز .

فأجاب مسيو دى تريفى :

ـ حسن يابنى ، انه امتياز فى الحقيقة ، ولكنه قد لا يكون بعيدا عن آمالك ان كنت تؤمن به . وقرار جلالته ضرورى دائما بالطبع ، ولكن يجب أن تظهر جدارتك فى معارك عديدة أولا . أو بعد الخدمة لمدة سنتين فى فرقة ما أقل تشريفا من فرقتنا .



لقد جئت الى هنا ولي نيتي طلب زي الفارس

واستمر قائلا :

ـ ولكن من اجل رفيقى القديم والدك ، سافعل شيئا من أجلك ٠٠ اعتقد أنك لم تجلب نقودا كافيـة معك ؟

فتراجع دارتنيان منتصبا باعتزاز وقال مزهوا :
ـ اننى لا أطلب صدقات من احد !

ـ أوه ، انه شىء حسن يابنى ، انه شىء حسن ٠ اننى أعرف هذه الخصال الجاسكونية ٠٠ لقد اتيت انا نفسى الى باريس ومعى اربعـة كرونات فى محفظتى ، وكنت مستعدا لمقاتلة اى شخص يجرؤ بأن يقترح أننى لست فى وضع يؤهلنى لشراء اللوفر (*) ٠

(★) اللوفر : قصر سابق لملوك فرنسا فى باريس ، واصبح الجزء الاكبر منه ، منذ الثورة الفرنسية ، المتحف الوطنى وصـالة عرض الفنون ٠

واستمر قائلا :

ـ يجب ان تكون حريصا على نقودك ، مهما كان المبلغ كبيرا . ساكتب رسالة لمدير الاكاديمية الملكية ، وسيقبلك غدا بدون اية مصاريف تتحملها . لاترفض منه الخدمة البسيطة ، فكثيرا ما يطلبها سادتنا الأغنياء ونبلاء المحتد ولايستطيعون نوالهـا .. وستتعلم الفروسية وفن المبارزة ، وكيف تشق طريقك في المجتمع ، وستتعرف ايضا على أناس مرغوب فيهم ، وستاتي لتراني من وقت لآخر ، لتخبرني كيف تسير احوالك ، ولتخبرني ان كنت أستطيع ان أكون أكثر فائدة لك .

فقال دارتنيان :

ـ مع الأسف ياسيدي ، يصعب على القول بأنني حزين لأنني فقدت رسالة التوصية التي اعطاها لي والدي لاقدمها لك .

فاجاب مسيو دى تريفي :

ـ لقد اندهشت بالتأكيد ، انك تجشمت هذه

الرحلة الطويلة بدون مثل هذه الرسالة الضرورية لنا نحن الجاسكونيين المساكين .

ـ كانت معى واحدة ياسيدى ، لكنها سرقت منى !

وقص دارتنيان عندئذ حادثة ميونج ، ووصف السيد المجهول بحرارة ومصداقية أسرت مسيو دى تريفى .

ـ تقول انك ذكرت اسمى ؟

ـ أجل يا سيدى ، لقد اقترفت هذا الخطأ بالتأكيد ، ولكن كان يجب ان أفعل ذلك ، فاسم مثل اسمك كان حماية لى فى طريقى .

فقال مسيو دى تريفى :

ـ أخبرنى ، هل لهذا السيد ندبة خفيفة على خده ؟

ـ أجل .

ـ هل كان رجلا ليس جميل المنظر ؟

ـ أجـــل ·

ـ طويل جدا ؟

ـ أجـل ·

ـ له ملامح شاحبة ، وشعر بني ؟

ـ أجل ، أجل ، انه هو · كيف ياسيدى تعرف هذا الرجل ؟ اذا حدث وعثرت عليه ثانية ، سوف ·· أقسم ··

وقال مسيو دى تريفى قائلا :

ـ هل كان منتظرا سيدة ؟!

ـ أجل ، ومضى فور انتهائه من محادثتها ·

ـ هل تعرف موضوع حديثهما ؟!

ـ لقد أعطى لها صندوقا ، وأبلغها انه يحتوى على تعليمات لها ، وعليها الا تفتحه حتى تصل انجلترا·

ـ هل كانت امرأة انجليزية ؟

ـ كان يناديها بميليدى ٠

فتمتم مسيو دى تريفى :

ـ انه هو ، لابد ٠٠ كنت أعتقد أنه مازال فى بلجيكا !

فصاح دارتنيان :

ـ أوه ، سيدى ، اذا كنت تعرف من هو هذا الرجل ، فاخبرنى ٠ فاننى قبل كل شىء أتمنى أن أعاقبه ٠

فقال مسيو دى تريفى :

ـ كن حذرا يابنى ، اذا رأيته آتيا فى جانب من الطريق فاسلك الجانب الآخر ٠ فلا ترم نفسك فى التهلكة !!

فاجاب دارتنيان :

ـ ان فكرة قوته لن توقفنى اذا حدث وعثرت عليه.

فقال مسيو دى تريفى بحزم :

ـ خذ نصيحتى ولا تبحث عنه فى الوقت الراهن !

واستمر مسيو دى تريفى قائلا :

ـ والآن يابنى .. سيبقى مكتبى مفتوحا لك دائما ، ويمكنك أن تسأل عنى فى جميع الأوقات .. واستفد بكل الفرص المتاحة لك والتى ترغبها !

فقال دارتنيان :

ـ أو بالاحرى سوف تنتظر حتى اثبت باننى جدير بها !

ثم انحنى لكى ينسحب . فقال مسيو دى تريفى:

ـ انتظر لحظة ، لقد وعدتك برسالة لمدير الاكاديمية الملكية . هل اعتزازك بنفسك يمنعك من قبولها يافتى ؟

فقال دارتنيان :

ـ كلا يا سيدى ، وأعدك بانها لن تسرق مثل الأخرى !

فابتسم مسيو دى تريفى على هذه الثقة بالنفس . وتركه عند النافذة حيث كانا يتحدثان ، وجلس على المنضدة ليكتب رسالة التوصية .

لم يكن أمام دارتنيان وظيفة افضل من ذلك . وتطلع من النافذة على الفرسان الغادين والرائحين فى الشارع ..

ونهض مسيو دى تريفى ، بعد ما كتب الرسالة وختمها ، واقترب من الفتى ليعطيها له . ولكن مسيو دى تريفى اندهش فى اللحظة التى مد فيها دارتنيان يده ليستلم الرسالة حين رآه يقفز فجاة . ويحمر وجهه من الغضب ، ويندفع من المكتب صارخا :

ـ آه ! لن يهرب منى هذه المرة !

قـال مسيو دي تريفي :

ـ من ؟!

فصرخ دارتنيان :

ـ انه اللص . آه ! الوغد !!

الفصل الثامن

كتف اتوس وشريط كتف بورتس

واندفع دارتنيان في حالة هياج نحو السلالم آملا ان ينزلها كل أربع في قفزة واحدة ، ولسوء الحظ اصطدم وهو مسرع في فارس كان خارجا في احدى غرف مسيو دى تريفى الخاصة ، فارتطم بكتفه بعنف ، تسبب في أن يصدر صرخة عالية • فقال دارتنيان محاولا ان يستمر في طريقه :

- معذرة ، معذرة ، لكني في عجلة من امرى •

وما كاد ينزل السلمة الأولى الا وقبضت عليه من

حزامه يد من حديد واوقفته . وقال الفارس وهو فى لون الورقة البيضاء :

ـ وهكذا انت فى عجلة من امرك ! تقول معذرة وتعتقد ان هذا يكفى ؟ كلا يا فتى .. هل تتخيل ، لأنك سمعت مسيو دى تريفى يكلمنا بخشـــونة اليوم ان يعاملنا الآخرون كما يتكلم هو معنـــا ؟ لا تخلط . فانك لست مسيو دى تريفى !

فاجاب دارتنيان متعرفا على اتوس الذى ضمد الطبيب جرحه لتوه :

ـ بشرفى ! بشرفى ! لم افعل ذلك عن عمـــد ، ولأنى لم افعلها عن عمد قلت معذرة ، ويبدو لى ان ذلك يكفى .. ارفع يدك عن حزامى ، ودعنى لاذهب حيث عمل يتطلبنى .

فقال اتوس تاركا الحزام :

ـ سيدى ، انك لست مؤدبا ، ومن السهل معرفة انك قادم من الريف ، وينقصك اخلاق المدينة الطيبة .

كان دارتنيان قد نزل ثلاث او اربع درجات ، ولكنه توقف عند تعليق آنوس الأخير ، **وقال :**

ـ يا للسماء ! مهما كان المكان الذى جئت منه بعيدا ، فلست أنت الذى يمكنك ان تعطينى درسا فى الأخلاق الطيبة ، أحذرك !!

فقال آنوس :

ـ ربما :

فقال دارتنيان :

ـ آه ! لو لم أكن فى عجلة من امرى ، ولو لم أكن أجرى وراء هذا الشخص ·

ـ يا من فى عجلة من امره · يمكنك ان تجدنى بدون أن تركض ورائى ·· هل تفهم ؟

ـ وأين ؟

ـ قرب الدير خلف اللوكسمبورج (*) ·

(*) قصر فى باريس مشهور بحدائقه ·

ـ في أى وقت ؟

ـ ظهرا ٠

ـ فليكن ، ساكون هناك ٠

حاول الا تدعنى انتظر ، لأننى عند الثانية عشر والربع ساقطع أذنيك وانت تركض ٠

فصاح دارتنيان :

ـ حسن ! ساكون هناك ٠

واندفع نازلا درجات السلم ، آملا أن يجد المجهول الذى لن تأخذه خطواته البطيئة بعيدا ٠

ولسوء حظ الفتى الذى فى عجلة من أمره ، ان بورتس كان يتكلم مع أحد الجنود بمدخل الشارع ٠ وكانت بين الاثنين مسافة تسمح لشخص أن يمر ، ولم يتردد دارتنيان بطبيعة الحال، أن يمر بسرعة من بينهما ، وبينما هو يفعل ذلك أطار النسيم بعباءة بورتس المخمليه الطويلة ، وبدلا من أن يكسب دارتنيان الحرية لاجتياز

الطريق ، وجد نفسه مشتبكا مع الطيات الطويلة للرداء ، وكان بورتس ممسكا بحافة عباءته في يده ، ولأسباب يعرفها هو جيدا ، لم يفلتها ، وقبض عليها بحزم وشدها عليه بحدة ، فكان نتيجة لسحبه الفجائي هذا أن لف دارتنيان وتم تطويقه في المخمل المشتبك به وبشكل ميئوس منه ٠

وأخذ بورتس يقسم بغضب ، رغم أنه ما زال يقبض على العباءة بشدة ، بينما يتلمس الفتى الجاسكوني طريقه من بين الثنايا محاولا أن يحرر نفسه ٠

وتذكر دارتنيان شريط الكتف الرائع ٠ وكان قلقا بصفة خاصة خوفا أن يتلف بهاء بريق الذهب ، ولكن كانت تنتظره مفاجأة ، فعندما فتح عينيه ، وجد نفسه ينظر الى نقطة بين كتفي بورتس وكان الشريط على بعد بوصتين من أنفه ٠

واحسرتاه ! فالشريط الذى يسطع بالذهب من الأمام ، ما كان لا جلدا صرفا من الخلف ٠ فبورتس المختال بالعظمة لا يقدر على شراء شريط كتف موشى

كلية بالنحب ، والذى لديه كان عبارة عن نصف شريط من الأمام ليريه لعالم معجب ، كما كان يبدى تظاهره بالبرد بافتراض ضرورة العباءة .

وقام بورتس ، وهو فى غضبه المخيف ، بالتحرك مندفعا خلف دارتنيان الذى أسرع راكضا .

فصرخ الأخير قائلا :

الآن ! الآن ! وانت لم ترتد عباءتك بعد .

ـ اذن ، عند الساعة الواحدة خلف اللوكسمبرج .

فصاح دارتنيان وهو يلف حول ملتقى الشارعين :

ـ حسن جدا ، عند الساعة الواحدة .

ومع ذلك ، لم يستطع ان يرى المجهول فى اى اتجاه ، واستفسر دارتنيان من كل شخص ، ولكن بلا جدوى .

الفصل التاسع

منديل أراميس

تأمل دارتنيان في احداث الصباح . اذ كانت الساعة لم تبلغ التاسعة بعد ، ومع ذلك اصبح في وضع مخز مع مسيودى تريفي الذى لابد أنه قد يعتبر تصرفه غير لائق ، وبالاضافة الى ذلك قد زج بنفسه في مبارزتين مع رجلين ، كل منهما قادر على قتل ثلاثة دارتنيان ، فلقد تعهد بقتال فارسين .. اثنين من هؤلاء الذين يعتبرهم ذوى مرتبة عليا . حيث يضعهم هو حسب تقديره فوق جميع الرجال الآخرين . فكان مظهره الخارجي نفيسا .. بالتأكيد سيقتله آتوس . ومن

الواضح انه لم يزعج نفسه كثيرا بخصوص بورتس . ومع ذلك فالأمل هو آخر شيء ينطفيء في قلب الانسان ·· ولذلك لم يكن دارتنيان خاليا من بعض الأمل في أن يجتاز كلا من هاتين المبارزتين حيا حتى ولو بجروح فظيعة !

وقال لنفسه :

ـ صديقي دارتنيان ، اذا كتبت لك النجاة ، فانصحك أن تتدرب على آداب الكياسة في المستقبل . فليس من الضروري أن يكون الانسان ملتزما ومؤدبا وأن يكون بالتالي شخصا جبانا ·

وبهذه الطريقة كان دارتنيان يسير ببطء عندما لاحظ أراميس يخاطب ثلاثة من سادة حرس الملك بمرح ، كما لاحظ أراميس ايضا دارتنيان ، لم ينس أن هذا الفتى قد سمع مسيو دى تريفي وهو يعنفه هذا الصباح · ففكر دارتنيان في أن تكون خطته متروية ومؤدبة ، فاقترب من السيد بانحناءة عميقة وبأكرم ابتسامة لديه · فاحنى أراميس رأسه قليلا في المقابل ، ولكنه لم يبتسم ·

كف الأربعـــة عن محادثتهم في الحال ، ففهم دارتنيان أنه شخص غير مرغوب فيه · وحيث انه لا يتقن الطرق السائدة في العالم ، وليس بارعا فيها ، فاخذ يبحث في عقله عن اقل الطرق حرجا في الانسحاب ·· وعندئذ لاحظ أن اراميس قد سقط منه منديـــل ووضع قدمه عليه دون أن يدرى · فظهرت هنا فرصـة لاختلاق عذر لتطفله على محادثتهم . فانحنى وســـحب المنديل من تحت قدم الفارس ، رغم الجهود التى بدت على الأخير أنه يبذلها لابقائه فى محنه ، وقال وهـــو يناوله لاراميس :

ـ اعتقد يا سيدى أن هذا المنديل لا تحـب أن تفقده ·

كان المنديل ، فى حقيقة الأمر ، مطرزا بأناقة ، وفى أحد اركانه الأحرف الاولى لاسم ما ·· واحمـــر وجه أراميس خجلا ، ولم يأخـــذ المنـــديل من الفتى الجاسكونى ، بل انتزعه وصاح احد رجال الحرس :

ـ آه ! هل تواصل بعناد القول بأنك لســـت

بصديق حميم لمدام دى بوا ـ تراسى بينما تعيرك هذه السيدة اللطيفة الكريمة أحد مناديلها ؟

فالقى اراميس بنظرة سوداء الى دارتنيان ، لكنه مالك نفسه بسرعة وقال بطريقته الهادئة العادية :

ـ انك مخطىء يا سيد . فهذا المنديل ليس لى . ولا يمكنني ان اتصور لماذا قدمه لى هذا السيد بدون ترو ، لا لأحد منكم . ولكى ابرهن لكم فها هو منديلى فى جيبى !

وعند قوله ذلك ، سحب منديله الخاص ، وكان منديلا من قماش رقيق أيضا . ولكنه بدون تطريز . وبلا حروف اولية . وفى هذه المرة لم يتسرع دارتنيان وقال :

ـ فى الحقيقة اننى لم أر المنديل يسقط بالفعل من جيب مسيو أراميس ، انما كانت قدمه عليـــه ، وهكذا اعتقدت أنه له .

فاجاب اراميس ببرود :

ـ وبالطبع انت مخطىء .

ثم استدار الى واحد من رجال الحرس الذى يعرف انه صديق لمدام دى بوا ـ تراس واردف قائلا :

ـ علاوة على ذلك ، فانت يا مونتران صديق حميم لمدام دى بوا ـ تراس أيضا ، وقد يسقط المنديل من جيبك كما يسقط من جيبى ٠

فصاح رجل الحرس :

ـ كلا . بشرفى !

ـ أنت تقسم بشرفك وانا ايضا ٠ وهكذا لابد ان احدنا يكذب ٠ ولذا . يا منتران سنقوم هنا شىء افضل ٠ دع كلا منا يأخذ النصف ٠

ـ من المنديل !

ـ أجل ٠

فصاح رجال الحرس الآخرون :

ـ تماما هذا هو العدل ٠٠ حكم الملك سليمان ! أراميس ٠٠ انك كلك حكمة بالتأكيد !!

وانفجر الشاب فى الضحك ، وهكذا كانت نهـــاية موضوع المنديل ٠

وفى لحظة أو اثنتين صافح الاصدقاء الأربعـــة بعضهم البعض باليد وتفرقوا ، وذهب الثلاثة فى طريق وأراميس فى طريق آخر ٠

وكان دارتنيان ينتحى جانبا اثناء الجزء الأخـــير من المحادثة ، وعندما راى أراميـــس يغادر دون أن يعـــره أن انتباه ، فاقترب منه وقال :

ـ سيدى ، آمل أنك ستعذرنى !

فقاطعه اراميس بحدة :

ـ آه ، سيدى ! اســـمح لى أن ابين لك بانك لم تتصرف تصرف شخص حسن التربية ٠

فصرخ دارتنيان :

ـ ماذا يا سيدى ! هل تفترض ٠ ؟

ـ افترض انك لست احمق ! رغم انك قادم من جاسكونيا • تعلم جيدا أن الناس لا يطاون المناديل بأرجلهم بدون أسباب •

فقال دارتنيان التى بدات طبيعته المشاكسة تتحكم في شعوره :

ـ سيدى ، انك غير منصف ، أنا من جاسكونيا ، حقا ، وحيث انك عرفت ذلك ، فلا داعى لاذكرك ان الجاسكونيين ليسوا صبورين جدا • وعندما يطلبون المعذرة ، حتى ولو من أجل تصرف احمق ، فهم يعرفون بأنهم قاموا باكثر مما يجب ان يقوموا به •

فقال أراميس :

ـ سيدى ، اننى لا ابحث عن مشاجرة ، لاننى لست متبجحا ، فانا فارس لفترة مؤقتة ، ولا اقاتل الا اذا اضطررت لذلك ، وفى هذه المرة فالموضوع خطير. لانك عرضت شرف سيدة للخطر !

فصاح دارتنيان :

ـ كلا ! •• ماذا تقصد ؟!

ـ لماذا اعدت المنديل لى ؟ وبكل حماقة ؟

ـ ولماذا تركته يسقط ؟ وبكل حماقة ؟

ـ آه ' يبدو انه لا مفر من ان القنك درسا !

ـ وانا سارسلك ثانية الى دراساتك ، يا كاهن المستقبل .. هيا اسحب سيفك . اسحبه من فضلك. وفى الحال '

ـ ليس هكذا .. ليس هنا على الاقل .. اود أن اقتلك فى مكان هادىء . ساكون مسرورا لقدومك عنه مكتب مسيودى تريفى الساعة الثانية . وهناك ساخبرك بأفضل مكان وزمان .

وانحنى الشابان وتفرقا . وراى دارتنيان الساعة تقترب من الثانية عشرة . فاسرع نحو الجانب الخلفى للوكسمبرج ، واخذ يفكر :

ـ لا مفر الآن ، بلا ريب .. ولكن ، اذا قتلت ، فساقتل على يد فارس على الأقل !

الفصل العاشر

الساعة الثانية عشرة خلف اللوكسمبرج

وذهب دارتنيان الى موعـــده مع آتوس دون ان يصطحب معه أحدا ، حيث انه لا يعـــرف احـــدا فى باريس .

وكما نعرف الآن ، لم يكن الفتى الجاســكونى رجلا عاديا ، لذلك عندما كان يقول لنفسه انه يجب ان يموت بكل تاكيد ، لم يكن يعقد العزم على أن يموت بهدوء كما يفعل شخص عادى أقل شجاعة . متذكرا نصيحة أبيه « لا تقبل النقد من احد ما عـــدا الملك والكاردينال » ، وبدلا من ان يمشى . ركض نحو الدير خلف اللوكسمبرج .

كانت الساعة الثانية عشرة عندما وصـــل الى مشارف مكان اللقاء · وكان آتوس فى انتظاره منـــذ خمس دقائق ، جالسا على جذع شجرة ساقطة ، فهـو مازال يقاسى من جرحه ، ونهض عندما رأى دارتنيان، وخطى بضع خطوات بادب للاقاته ·· فخلع دارتنيان قبعته ، وانحنى تماما ·

وقال آتوس :

ـ سيدى ، لقـد عينت اثنين من أصـــدقائى كشهود ، ولكن ، على غير عادتهما ، ولدهشتى الكبيرة لم يأتيا بعد ·

فقال دارتنيان :

ـ أما من ناحيتى يا سيدى ، فليس لدى شهود، حيث لا اعرف أحدا فى باريس بعد ، غير مسـيو دى تريفى الذى وصاه أبى على ·

فقال آتوس :

ـ بعد اذنك ، سننتظر قدوم هذين السيدين .

فلدى وقت كاف ، وسيكون ذلك أقرب للصواب ..
آه ! ها هو احدهما ، على ما اعتقد !

وفى الحقيقة ، ظهر شبح بورتس الضخم ، فصرخ دارتنيان :

ـ ماذا ! هل صديقك الأول هو مسيو بورتس ؟

ـ أجل ، وهل يضايقك هذا ؟

ـ أبدا ، على الاطلاق !

ـ وها هو الآخر .

فالتفت دارتنيان فى الاتجاه الذى أشار اليه آتوس فرأى أراميس .

فصرخ فى اندهاش اعظم :

ـ ماذا ! هل صديقك الثانى مسيو أراميس ؟

ـ بالتأكيد ! فنحن مع بعض دائما ، الا تعرف

باسا مشهورين بالثلاثة المتلازمين بين الفرسان ، وعند رجال الحرس . وفى البلاط . وفى المدينة ٠٠ ؟!

فاجابه دارتنيان :

ـ بشرفى ، لقد اشتهرتم أفضل شهرة ٠

ووصل بورتس اليهم فى هذه الاثناء ، فلوح الى أتوس بيـــــده ، ثم التفت نحو دارتنيان الذى وقف مندهشا لقد غير شريط كتفه المبهرج ، وتــرك عباءته الجميلة بالبيت ٠

وقال :

ـ آه ! ماذا يعنى ذلك ؟

فقال آتوس :

ـ هذا هو الســيد الذى ساقاتله ٠

ـ فقال بورتس :

ـ لماذا . اننى سأقاتله أنا أيضا !

فقال دارتنيان :

ـ لكن ، ليس قبل الساعة الواحدة '

وقال ارامیس الذی وصل لتوه بجانبهم :

ـ وانا ایضا ساقاتل هذا السید !!

فقال دارتنیان بنفس الهدوء :

ـ لكن ، ليس حتى الساعة الثانية !

فقال ارامیس :

ـ عن ماذا ستقاتل يا آتوس ؟

ـ قسما بشرفی ، لا أعرف تماما .. لقد أوجع لی كتفی .. وانت یا بورتس ؟

فقال بورتس ووجهه يحمر :

ـ ساقاتل ـ لاننی ساقاتل '

ولاحظ آتوس ، الذی لا تضيع عيناه شيئا . ابتسامة خفيفة على وجه الفتى الجاسكونی عندما اجاب دارتنیان بدلا منه :

ـ لقد جرى بيننا نقاش عن الملبس .

ـ وانت يا ارامیس ؟

فاعطى أراميس اشارة لدارتنيان أن يحفظ سر السبب الحقيقى للمبارزة ،

واجاب :

ـ اوه ، لقد اختلفنا حول موضوع فى الدين !!

فقال دارتنيان :

ـ والآن يا سادة ، ارجو ان تسمحوا لى ، وانتم هنا جميعا ، ان أقدم لكم اعتذارتى ·

فاجتازت سحابة جبين آتوس ، وظهرت ابتسامة احتقار على وجه بورتس ، كما اظهر أراميس استهجانه بوضوح ، عند كلمة « اعتذاراتى » ·

فرفع دارتنيان راســـه الى أعلى باعتزاز واردف قائلا :

ـ انكم لم تفهمونى جيدا يا سادة ، لقد طلبت أن تعذرونى فى حالة عدم تمكنى من مقاتلة ثلاثتكم ·

ثم سحب دارتنيان سيفه ، مع هذه الكلمات ، بكل روح باسلة . وسحب آتوس سيفه ، **وقال :**

ـ ان الجو حار جدا ، ومع ذلك فلن أستطيع ان اخلع سترتي ، فلقد شعرت بجرحي يدمي ثانية . ولا يجب أن أزعج هذا السيد بمنظر الدم . الذى لم يتسبب فيه .

فقال دارتنيان :

ـ لذلك سأقاتل بسترتي مثلك .

فصاح بورتس :

ـ هيا ! هيا ! وكفى اطراءات ، وتذكرا ، من فضلكما ، اننا ننتظر دورنا .

فقاطعه اراميس :

ـ تكلم عن نفسك ، ان ما يقولاه هو القول السديد !

وما كاد السيفان يلتحمان . الا وظهر عنــد منعطف حائط الدير ، فريق من حرس الكاردينــال تحت امرة مسيودى جوساك ٠

فصرخ أراميس وبورتس في وقت واحد .

ـ حرس الكاردينال ٠٠ اغمــدا ســيفيكما بسرعة !!

الفصل الحادى عشر

دارتنيان يتخذ قرارا خطيرا

كان الوقت متأخرا بالنسبة لأتوس ودارتنيـان لكى يبعدا سيفيهما . فلقـد تمت رؤيتهما واتضح ما يقومان به . فصاح جوساك وهو يقترب مع رجاله :

ـ هاللو . أرى انكما تتبارزان . ويبدو انكمـا نسيتما القانون !

فقال آتوس :

ـ انك لا تراعي مشاعر الآخـريـن . لو اننى شاهدتك تقاتل لما بذلت اى جهد فى التدخل . أتركنا بمفردنا واذهب لحال سبيلك .

فقال جوساك وهو متأكد من نفسه :

ـ لا أستطيع ، يا سادة ، السماح بانتهاك القانون حتى من قبل الفرسان • اغمدا سيفيكما واتبعانا •

فلم يقم الفرسان بأى حركة ، وتمتم آتوس قائلا :

ـ انهم خمسة ونحن ثلاثة فقط ، وسنهزم ثانية• ولن أسمح لنفسى أن أمثل أمام الرئيس كشخص منهزم !

ووقف آتوس وبورتس وأراميس متلاصقين سويا وشكل جوساك رجاله فى صف واحد مستعدا للهجوم عند الضرورة •

واتخذ دارتنيان قراره فى اللحظة نفسها • انه أحد المواقف التى تقرر مصير الانسان • وكان الوضع بالنسبة له اختيار بين الملك والكاردنيال ، فقال ملتفتا نحو آتوس واصدقائه :

ـ اسمحوا لى ان اصحح لكم ، يا ســـادة ، لقد قلتم انكم ثلاثة فقط ، ولكن يبدو لى اننا اربعة ٠

فقال بورتس :

ـ انك لسـت واحدا منا !

فاجاب دارتنيان منحنيا الى اسفل :

ـ اننى فارس بقلبى ٠٠ قد لا يكون لدى الزى، ولكن لدى الروح !

فصرخ جوساك مدركا نية دارتنيان من حركتـه، وتعبيرات وجهه :

ـ تنح يا فتى ، تنح فى الحال ٠ انقذ نفسك واذهب بسرعة ، فنحن نسمح لك بالانسحاب ٠

ولم يتحرك دارتنيان ، وواصل آتوس قائلا :

ـ يجب ان نكون ثلاثة فقط ، فواحد منا جريـح وباضافة الولد ، فسيقال اننا كنا اربعة رجال ٠

ادرك دارتنيان ريبتهم نحوه ، فقال :

ـ جربوني يا سادة . واؤكد لكم انني لن اترك رجلا مهزوما !

فسأل آتوس :

ـ انك فتى شجاع ، ما اسمك ؟

ـ دارتنيان يا سيدى !

فصاح آتوس :

ـ حسن اذن ، بورتس ·· أراميس ·· دارتنيان ·· فلنقاوم !!

فصرخ جوساك بغضب :

ـ هيا يا ساده . هل قررتم ما ستفعلون ؟

فاجاب أراميس رافعا قبضة يده وساحبا سيفه بيده الأخرى :

ـ أجل . سيكون لنا شرف منازلتكم .

فصرخ جوسالك :

ـ آه ! اتقاومون اذن ؟

فاندفع رجال الحرس الخمسة نحو الفرسان الثلاثة ودراتنيان بعنف .

كان القتال سريعا وعنيفا ولم يدم الا فترة قصيرة . ولكن اكتشف دارتنيان بسرعة أنه ند لأى رجل من رجال الحرس . ولقى أحد رجال الحرس مصرعه بعد قليل ، وسقط بلا حراك ، وأصيب ثلاثة آخرون باصابات بالغة . ولم يتمكنوا من الاستمرار فى القتال . أما رجل الحرس الذى بقى . فقد قام بكسر سيفه على ركبته ، عندما رأى نفسه بمفرده ضد أربعة، ليتجنب الاجبار على تسليمه .

والبسالة تحترم دائما حتى ولو كانت من العدو، لذا قام الفرسان بتحية رجل الحرس المتبقى برفع سيوفهم الى أعلى ثم أعادوها فى غمدها ، وقام دارتنيان بنفس الشىء ، ثم قاموا بحمل الرجال المصابين بمساعدة رجل الحرس الى باب الدير ودقوا الجرس .

شق الأربعة المنتصرون طريقهم بقلوب مشرقة الى مركز رياسة مسيودى تريفى حاملين اربعة سيوف من خمسة • وكانوا يغنون وهم يسيرون ذراعا فى ذراع محتلين الشارع كله . وكلما كان يقابلهم أحد الفرسان كان ينضم اليهم حتى أصبحت مسيرة نصر فى النهاية . وامتلأ دارتنيان بالبهجة أثناء سيره بين آتوس وبورتس بالفخار •

وقام مسيودى تريفى بتعنيف الفرسان الثلاثة على الملأ . ومع ذلك هنأهم على انفراد لانتقامهم السريع والكامل من حرس الكاردينال •

وسمح لدارتنيان نتيجة لتصرفه أن يصاحب حرس الملك فى الحال للتدريب تحت امرة مسيو ديزيسارت . وهكذا وجد الجاسكونى الصغير نفسه تحت ظروف محببة أكثر مما كان يتخيل فى طريقه ليصبح فارسا • علاوة على ذلك ، اصبح الآن الرفيق المفضل عند المتلازمين الثلاثة : آتوس وبورتس وأراميس . وقضى معهم جل وقته •

الفصل الثاني عشر

ميليدى

وبعد حوالى شهرين . كان دارتنيان يسير ببطء مجتازا كنيسة سان لوى في باريس ، وعندما لفتت انتباهه سيدة نازلة من سلالم الكنيسة ·· انها لم تكن صغيرة ورائعة الجمال فحسب ، بل كانت سيدة عظيمة بكل وضوح ايضا ، حيث كان يسير من خلفها اثنان من المرافقين ، وعندما التفتت لتعطى أمرا لأحد المرافقين ، قفز قلب دارتنيان لأنه تعرف فيها على سيدة ميونج ·· السيدة التى كان يناديها الرجل ذو الندبة باسم ميليدى ·

ولحسن حظ دارتنيان انها لم تتعرف عليه ، فاستطاع ان يتبعها دون ان تلاحظه ، وصعدت عربتها عند المنعطف . وسمعها تامر سائقها ان يأخذ طريقه الى ســـان جيرمان ، وهو حي راق ملاصـق لباريس مباشرة .

لم يكن اهتمام دارتنيان العميق بميليدى بسبب جمالها الاخاذ الذى كان بكل تأكيد يأسره ، بل لانه كان يشعر بكل تأكيد أنها أحد جواسيس الكاردينال. وكان تواقا لكشف الغموض الذى يحيط بها . عـــلاوة على أنها خاطبت من يعاديه ، الرجل ذا الندبة . ولذلك فهى لابد تعرفه . وبتتبعه لها ، فمن المحتمل أن يصل الى الرجل أو يكتشف شيئا عنه بطريقة او باخرى .

كان من الواضح عدم جدوى متابعة العربة عـلى الاقدام ، لذلك أسرع الى اسطبلات الحرس ، وحصل على حصان . واتخذ طريقه هو أيضا الى سان جيرمان .

لم يطل بحثه عن العربة ، ورآها تقف بشارع جانبى هادئ، وقريب منها سيد على ظهر جواد مرتديا ملابس فاخرة .

وكان السيد وميلبدى منهمكين فى حديث مفعم بالحيوية . فاقترب دارتنيان ، وتوقف عند الجانب الآخر من العربة ، لا يلاحظه أحد سوى وصيفة جميلة جالسة فى مواجهة سيدتها .

وكانا يتكلمان اللغة الانجليزية التى لا يفهمها دارتنيان جيدا ، ولكنه كان يستطيع ادراك ان السيدة الانجليزية الجميلة نبيلة المظهر فى غيظ عارم ، وفجأة توقفت عن الحديث ، وضربت السيد بمروحتها فى حنق ضربة قوية لدرجة انها تكسرت الى قطع صغيرة .

وضحك السيد ، واخذت ميلبدى تلوى وتشد فى منديلها فى هياج عاجز ، وبدت هذه اللحظة لدارتنيان لحظة مناسبة جدا ليتدخل ، وهكذا خلع قبعته وانحنى وقال :

ـ مدام ، هل تسمحى لى أن أقدم لك خدماتى ؟ يبدو لى أن هذا السيد يضايقك . ما عليك الا ان تأمرى يا مدام ، وسأعاقبه لقلة ادبه !

التفتت ميليدى فى اندهاش عند سماعها هذه الكلمات ، ورمت الفتى بنظرة من عينيها الساحرتين ، اجابت باللغة الفرنسية بهدوء :

ـ سيدى ، بالتأكيد كنت ساضع نفسى تحت حمايتك ، اذا لم يكن الشخص الذى اتشاجر معه هو أخى .

فقال دارتنيان :

ـ أوه ! آمل أن تعذرينى . لم أكن أعرف ذلك يا مدام .

فسأل السيد وهو ينحنى على نافذة العربة :

ـ ماذا يريد هذا الغبى ؟ لماذا لا يذهب لحال سبيله ؟

فصاح دارتنيان منحنيا أيضا ومجيبا من جانبه خلال نافذة العربة :

ـ الغبى هو أنت !

فتفوه الراكب ، عندئذ ، بكلمات قليلة لأخته باللغة الانجليزية . فقال دارتنيان :

– كلمتك باللغة الفرنسية ، فلماذا لا تجاوبني باللغة نفسها ؟ قد تكون أخ المدام ، ولكن من حسن الحظ انك لست أخي !

كان على ميليدى محاولة ايقاف الشجار اعتقادا بانها وجلة كالنساء بطبيعة الحال ، ولكنها على العكس، اضطجعت في عربتها وابلغت سائقها بهدوء أن يعود بها الى باريس .

كان من الواضح انبهار الوصيفة الجميلة بمظهر دارتنيان الطيب ، اذ لم ترفع عينيها من عليه ، وبدت على وجهها نظرة قلقة عندما بدات العربة تتحرك تاركة الرجلين وجها لوجه .

وقام اخ ميليدى بحركة على انه يتبع العربة ، ولكن اوقفه دارتنيان ، وقال :

ـ يبدو لى يا سيدى ، انك اغبى منى ، حيث انك نسيت أننا يجب أن ننهى النزاع البسيط الذى بيننا .

فقال الرجل الانجليزى :

ـ هل ترغب فى استغلال ميزة رجل غير مسلح؟ انت ترى بوضوح أننى لا أحمل سيفا !

ـ آمل ان يكون لديك سيف بالمنزل ، واذا لم يكن ، فلدى اثنان ، وساعيرك واحدا .

فقال الرجل الانجليزى :

ـ لا داعى . فأنا مستعد بمثل هذه اللعب ولدى سيوف عدة !

فاجاب دارتنيان :

ـ حسن جدا يا سيدى ، التقط سيفا منها وتعال لتريه لى هذا المساء .

ـ أين ؟

ـ خلف اللوكسمبرج . هناك مكان رائع للعب بجانب الدير ، وساعلمك كيف تلعب ٠

ـ ممتاز ، ساكون هناك !

ـ في اي وقت ؟

ـ الساعة السادسة ، وعليك بصديق او اثنين ٠

ـ لدي ثلاثة يرحبون بمشاركة اللعبة معي ٠

فقال الرجل الانجليزي :

ـ ثلاثة ؟ ممتاز ! فالثلاثة هو رقمي المفضل ٠٠ على فكرة من أنت ؟

ـ انا مسيو دارتنيان . سيد جاسكوني وخادم في الحرس الملكي ، وأنت ؟

ـ لورد ونتر ، بارون شفيلد !

فقال دارتنيان مديرا حصانه ليركض عائدا الى باريس :

ـ حسن جدا ، اذن الى اللقاء هذا المساء الساعة السادسة ٠

وذهب مباشرة كالمعتاد فى مثل هذه الحالات الى مسكن آتوس وقص عليه كل ماقد حدث ، وارسل الاثنان برجالهما الى بورتس وأراميس فى الحال ، وعندما وصلا اخبروهما باللقاء المعد ذلك المساء خلف اللكسمبورج ٠

وسحب بورتس سيفه ولوحه فى الهواء ، متفاخرا بما سيفعله فى خصمه ٠ اما أراميس فذهب بهدوء الى غرفة أخرى لينهى قصيدة كان يعمل فى نظمها . وطلب منهم الا يزعجوه حتى يأتى موعد المبارزة ٠

واشار آتوس لرجله جريمود ليحضر له زجاجة اخرى من النبيذ ٠.وانخرط دارتنيان فى التفكير فى تفاصيل خطة صغيرة . سنقرأ عنها فيما بعد ٠

وبالحكم على الابتسامات التى مرت على وجهه من وقت لآخر . نعلم ان الخطة بشرته بمغامرة ممتعة ٠

الفصل الثالث عشر

يحافظ آتوس على كلمته ، وينجح دارتنيان في خطته

وقبل الساعة السادسة بقليل ركب دارتنيان مع اصدقائه الثلاثة ، يتبعهم خدمهم الأربعة ، وتوجهوا الى الساحة الواقعة خلف اللوكسمبرج ، وامروا رجالهم بان يراقبوا أى شيء يحدث .

وبعد دقائق قليلة ، وصلت عربة الى المدخل ، ونزل منها لورد ونتر وثلاثة رجال ، وساروا في صمت حتى وصلوا الى دارتنيان والفرسان الثلاثة ، ثم قدم كل شخص نفسه حسب التقليد المتبع .

كان جميع رفاق لورد ونتر ذوى مراكز رفيعة لذلك لم تكن أسماء خصومهم الوهمية موضع اندهاش فقط بل مدعاة للتوجس ايضا .

فقال لورد ونتر :

ـ اننا لا نعرف حتى الآن من انتم ، لا يمكننا أن نحارب ضد اناس بمثل هذه الأسماء ! لماذا ؟ لأنها اسماء لا أحد !

فقال آتوس :

ـ انها ، كما تدعى ، مجرد اسماء وهمية !

كانَ هذا حقا تماما ، فاسماؤهم الحقيقية لا يعرفها احد ، حتى فيما بينهم ، ما عدا مسيو دى تريفى .

فاجاب اللورد :

ـ وهذا ايضا يعطينا رغبة أكبر فى أن نعرف الأسماء الحقيقية ، فالانسان يقامر ويلعب الورق مع أى أحد ، ولكنه لا يحارب الا أنداده .

فقال آتوس :

ـ وهو كذلك .

ثم أخـذ الرجل الذى سيقاتنه جانبا ، وأخبره باسـمه فى همس ، وفعل كل مـن بورتس وأراميس نفس الشىء .

وقال آتوس لغريمه :

ـ هل يرضيك هذا ؟ هل تجدنى فى مرتبة كافية لتمنحنى شرف ملاحمة السيوف معى ؟

فأجاب السيد منحنيا :

ـ أجـل .

فأضاف آتوس ببرود :

ـ حسن ! والآن دعنى أخبرك بشىء آخر . كان من الأحكم لك الا تصر على معرفة اسمى .

ـ لمـاذا ؟

ـ لأنني من المفروض ان اكون في عداد الأموات . ولدي اسباب لا ارغب من أجلها أن يعلم احد اني ما زلت حيا . ولكي أحتفظ بسري فاني مضطر لقتلك !

فحملق فيه غريمه . معتقدا انه يمزح . بينما آتوس لا يمزح . فهو لم يمزح مطلقا .

ثم قال آتوس بعد لحظة مخاطبا رفاقه وخصومهم :

ـ يا سادة .. هل نحن مستعدون جميعا ؟

فجاءت الاجابة منهم جميعهم . وكأنها صوت واحد :

ـ أجل .

فصرخ آتوس :

ـ اذن . انتبه !

وفي الحال أبرقت أسلحة السيوف الثمانية في أشعة شمس آخر النهار . وأخذ آتوس يبارز بهدوء .

وبشكل منهجي ، وكانه يتدرب في مدرسة للسلاح ٠٠ وبورتس يتباهي أقل من عادته ، ويقاتل ببراعة مشوبة بالحذر ٠٠ اما أراميس ، المشغول بمقطع ثالث من قصيدة عليه أن ينتهي منها ، كان واضحا أنه في عجلة من أمره

وكان آتوس أول من تغلب على غريمه بطعنة نافذة في قلبه ، وحافظ على كلمته ، وتلاه غريم بورتس الذي افترش العشب متمددا بفخذ مجروح ، ورفعه بورتس بذراعيه ، وحمله الى العربة المنتظرة ٠٠ وهاجم أراميس خصمه بشكل عنيف لدرجة أن الرجل استسلم منذ البداية ٠

اما دارتنيان فقد حارب بسلاسة متخذا الوضع الدفاعي حتى رأى لورد ونتر منهك القوى فقام عندئذ بالتواءة مباغتة من سلاحه أطاحت بسيف غريمه من يده ، فقام فخامته بمحاولة لاسترداد سيفه ، فزلقت قدمه وسقط على ظهره ٠

وفى لحظة كان دارتنيان يقف فوقه زاجا بسيفه نحو حلقه ، فجعل لورد ونتر تحت رحمته ٠٠ وهكذا حقق الجزء الأول من خطته التى فكر فيها من قبل ، وقال له دارتنيان :

ـ يمكننى قتلك ، ولكنى سأبقى على حياتك من أجل أختك ٠

فوقف لورد ونتر على قدميه ببطء ، ثم انحنى اعترافا منه بتفوق دارتنيان ، والتفت الى الفرسان الثلاثة واطراهم على براعتهم ٠

وقال لورد ونتر لدارتنيان :

ـ صديقى الشاب ، اذا سمحت لى أن أنادى عليك هكذا ، أحبك أن تقابل أختى ، السيدة ونتر ، حتى تضيف شكرها لشكرى ٠

فاحمر دارتنيان من البهجة ، وأبدى موافقته بالانحناء الى أسفل بشدة ٠

وقبل مغادرته ، أعطى لورد ونتر عنوان أخته لدارتنيان - رقم ٦ ميدان رويال - وهو حي راق جدا . ووعده أن يمر عليه ذلك المساء ليأخذه الى هناك ، فحدد دارتنيان الساعة الثامنة بمسكن آتوس .

وعاد دارتنيان مباشرة الى المنزل وارتدى أفضل زى لديه ، ثم أسرع الى آتوس وأبلغه بخططه بخصوص ميليدى .

وانصت آتوس وهو يهز رأسه ببطء ، وينصحه بان يكون حذرا جدا .

وقال دارتنيان وفي صوته نبرة حزن :

- ولكني لم اقع في حب ميليدى ، وهدفي الوحيد هو التعرف عليها واكتشاف الدور الذى تلعبه في القصر .

- يا للسماء ! هذا ليس صعب التخمين ، بعد ما اخبرتني به . فهي والرجل ذو الندبة اثنان من جواسيس الكاردينال بلا شك . كن حذرا والا ستسحبك في شرك لن تستطيع الافلات منه !

ـ عزيزى آتوس ، انك تنظر دائما الى الجانب المظلم من الأشياء .

ـ اننى أسىء الظن بالنساء وخصوصا الشقراوات منهن ، وكيف لى ان أفكر غير ذلك وقد اشتريت خبرتى غاليا ، وعلى فكرة هل ميليدى شقراء ؟

ـ انها من أجمل النساء اللاتى وقع بصرى عليهن .

ـ آه ! يا صديقى دارتنيان يا مسكين !

ـ اسمع يا آتوس ، انى اريد أن أكتشف شيئا فقط . وعندما يتم لى ذلك فسوف لا تهمنى بعد ذلك .

فقال آتوس بحزن :

ـ افعل ما يحلو لك يا صديقى الصغير ، ولكن كن حذرا !!

الفصل الرابع عشر

ميليدى تستقبل دارتنيان

وفى تمام الساعة الثامنة مر لورد ونتر على دارتنيان لياخذه لمقابلة ميليدى أخته . وكان منزل ميليدى افضل منزل فى الحى . لم يندهش دارتنيان عندما وجده مجهزا باغلى الأثاث . كان معظم الانجليز يغادرون فرنسا فى ذلك الوقت على حساب أن الحرب وشيكة الوقوع بين انجلترا وفرنسا ، أما ميليدى فكانت على العكس تجدد الأثاث الداخلى لمنزلها . وكان من الواضح عليها انه لا يوجد ما تخشاه من بقائها فى باريس .

لاحظ دارتنيان هذه الحقيقة التى أدت الى تثبيت شكوكه بالغموض الذى يحيط بها ٠

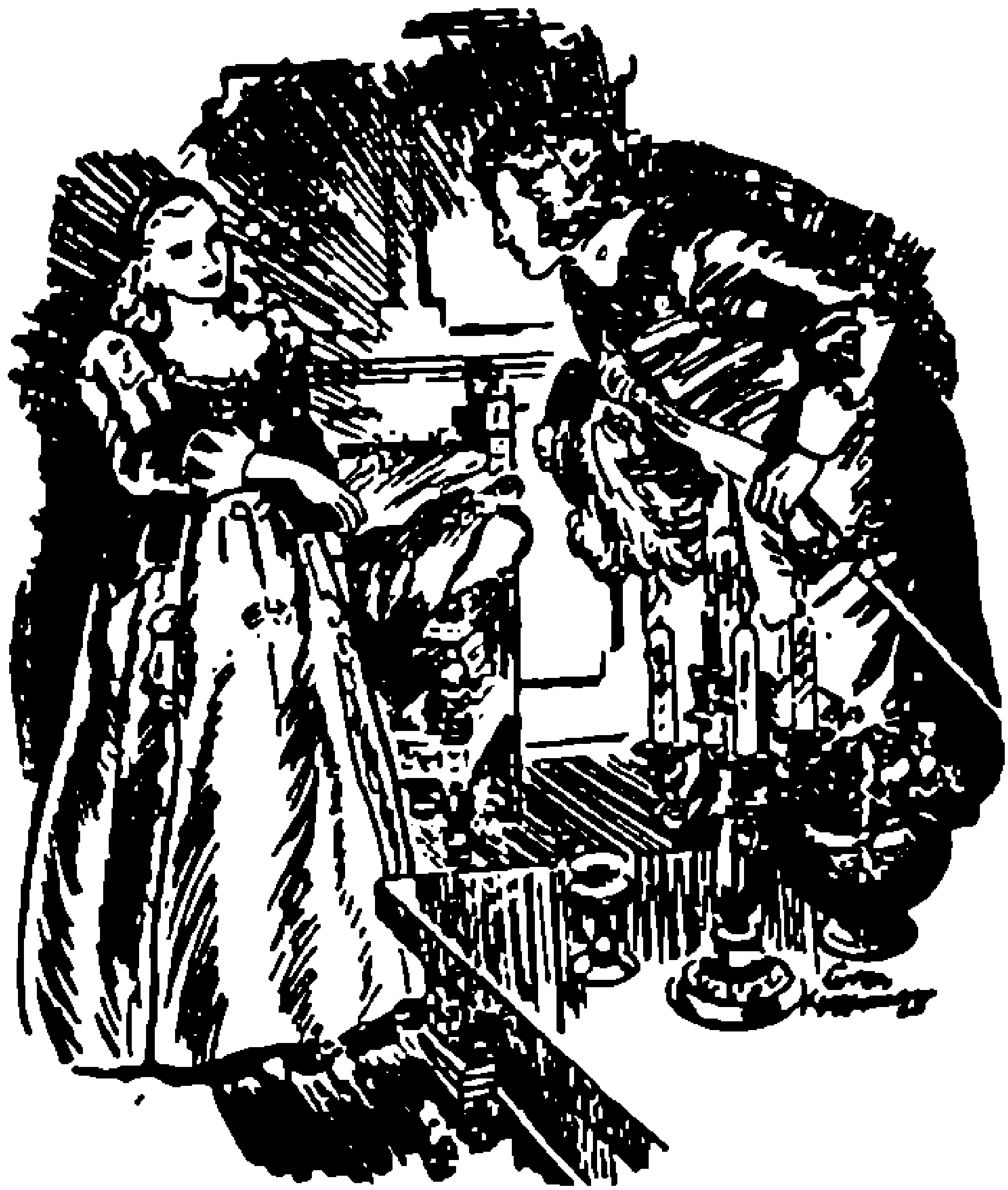
وقال لورد ونتر لاخته :

ـ اسمحى لى أن أقدم لك فتى أمسك بحياتى فى يديه . ولكنه لم يسىء استخدام هذه الميزة ٠ فلقد أبقى على حياتى رغم انني تسببت فى اهانته ٠ والآن آمل أن تضيفى شكرك الى شكرى ٠

والتفت لورد ونتر عندئذ نحو الجرس ليطلب احضار نبيذ . وهكذا لم يلحظ نظرة الضيق الخاطرة التى مرت على وجه أخته . ومع ذلك . فعندما تكلمت لم يكن هناك اى اثر من تكدر النفس فى صوتها الحلو الناعم . فقالت :

ـ أنا سعيدة بان أرحب بك يا سيدى . ويبدو انك قد فزت بحقوق أبدية من عرفانى بالجميل !

ثم حكى أخوها قصة ما حدث بالتفصيل ٠٠ وانصتت ميليدى بانتباه شديد . ولكن كان واضحا



انا سعيدة بان ارحب بك يا سيدي !

لدارتنيان أن القصـــة بعيدة عن أن تكون مستـــاعة لديها ، ولاحظ كيف تلوى منديلها وتشد فيه . وتنقر بحذائها الصغير الأحمر مع الفضى على السجادة الناعمة بنفاد صبر .

ولم يلحظ لورد ونتر ذلك لأنه كان مشغولا بنبيذه على المنضدة الجانبية وهو يحكى قصته . ولما ملأ كاسين دعى دارتنيان باشارة أن يشرب معه . فذهب دارتنيان ليتناول كأسه من على المنضده . واضعا فى اعتباره ، مع ذلك أن يحتفظ برؤية ميليدى من خلال مرآة حائط كبيرة . فبدت عليها نظرة كراهية عنيفة ، معتقدة بأنه لا يلاحظها . وأخذت تشد منديلها بأسنانها الجميلة .

وجاءت عندئذ الوصيفة الجميلة بمذكرة لفخامته ، وتحدثت اليه ببضع كلمات باللغة الانجليزية ، ولما قرأ المذكرة استأذن راجيا ، حيث طلب لموعد هام .

وعندما التفت دارتنيان الى ميليدى تلاشت جميع آثار الغضب وكأنه سحر ، حتى أنه تساءل للحظة عسى ان تكون المرأة قد خدعتـه . وبعد ما غادر فخامته ،

اصبحت المحادثة ودودة تماما ، وعلم دارتنيان أن لورد ونتر ليس اخوها بل اخو زوجها • فلقد تزوجت أخاه الأصغر ، ولكنها أصبحت الآن أرملته ومعها طفل ، وكان ابنه وريث لورد ونتر الوحيد طالما أن لورد ونتر لم يتزوج •

كان يشعر دارتنيان ، أثناء المحادثة أن ميليدى تخفى شيئا ، ولكن لا يدرى ما هو • واقتنع بالاضافة لذلك بانها من أصل فرنسى وليست من أصل انجليزى كما كان يعتقد ، فهى تتكلم الفرنسية بيسر وطلاقة حتى لا يوجد مجال للشك •

وفى الليلة الثالثة لهذا اللقاء زار دارتنيان ميليدى مرة ثانية ، وتم استقباله بشكل أكثر لطفا ، وبدا عليها أنها تهتم به وبمعيشته • ولم يفشل دارتنيان فى أن يمدح الكاردينال ، وقال انه بالتأكيد كان سيلتحق بحرس الكاردينال ، اذا لم يكن تقدم بتوصية لمسيو دى تريفى •

وغيرت عندئذ ميليدى المحادثة وسألت ببراءة اذا كان دارتنيان قد ذهب الى انجلترا من قبل •

ففكر دارتنيان في نفسه :

ـ آه ! انها تعرف زيارتي السرية الى انجلترا عند لورد باكنجهام(*) •

فاجاب بصوت فيه مثل براءة صوت ميليدى بان

(*) مجوهرات الملكة • اعطى لويس الثالث عشر للملكة حلية ماس جميلة مكونة من اثنتى عشرة قطعة من فصوص الماس • وفي لحظة ضعف اعطت الملكة هذه الحلى لعاشقها دوق باكنجهام كتذكار ورمز لشعورها نحوه . وعندما سمع الكاردينال بذلك عن طريق جواسيسه رتب لاقامة حفلة عامة . وحرض الملك ان يطلب من الملكة ان تلبس الماس على شرف المناسبة • وكان امل الملكة ضعيفا في تنفيذ ذلك . حيث ان الحلية الماسية في حيازة الدوق الذى كان في مكان ما بانجلترا ربما يصطاد في وندسور • وفي هذه الاثناء ارسل الكاردينال السيدة ميليدى الى انجلترا لتسرق اثنين من الحلى المرصعة بالماس على امل ان يكتشف صداقة الملكة لباكنجهام ، وبفضل دارتنيان والفرسان الثلاثة فشلت مكيدة الكاردينال وتم انقاذ شرف الملكة •

مسيو دى تريفى قد أرسله الى انجلترا لشراء جياد وقال لها أنه اشترى وعاد باربع سلالات رائعة ٠

وعندما تحققت من أن دارتنيان يستطيع ان يلعب بالكلمات كما يلعب بسيفه ، حولت ميليدى المحادثة الى موضوعات أكثر امانا ٠

الفصل الخامس عشر

يسمع دارتنيان كلمات غريبة مصادفة

وقع دارتنيان في حب ميليدى ، بالرغم من نصيحة أتوس . ولم يتوان عن زيارتها كل مساء تقريبا . ولم يعد يعلن عن قدومه رسميا ، واعطت ميليدى اوامرها بأن يسمح له فورا بالدخول الى غرفة جلوسها الخاصة في اى وقت يأتى فيه .

لم يدرك تماما أن ميليدى كانت تلعب معه دورا ، الى أن سمع بالمصادفة حديثها مع وصيفتها كيتي بالحجرة المجاورة لحجرة الجلوس حيث كان منتظرا دون علمها . وكان الباب بين الحجرتين غير مغلق تماما ،

ولذلك تمكن من سماع ماقالاه بشكل واضح ، فكانت ميليدى تقول :

ـ يبدو ان صديقنا الجاسكونى سيتأخر هذا المساء ٠

فقالت كيتى :

ـ ماذا ! ميليدى ! هل بدأ يستهين بصداقتك حتى أصبح غير حريص على مواعيده ؟

ـ ربما واجباته قد منعته من الحضور ، لا باس، اننى أعرف ياكيتى ما سافعله معه ٠

ـ لماذا يامدام ، ما اللعبة التى ستلعبينها ؟

ـ لك ان تسالى ، هناك شيء ما بينى وبين هذا الرجل يجهله هو ٠ لقد حطمنى فى عينى الكاردينال تقريبا بخصوص مهمة مجوهرات الملكة ٠ أوه ! سنرى! سيكون لى انتقامى !

ـ أوه ! ظننت انك تحبينه ٠

ـ أحبه ؟ انني اكرهه ! الاحمق امسك بحياة اللورد ونثر مى يديه ولم يقتله • وفقدت ، لعدم قيامه بذلك ، الاستفادة بميراث ثلاثمائة الف جنيه سنويا

فقالت كيتي :

ـ هذا حقيقي ، طبعا ، لقد نسيت أن ابن سيدتي صاحبة العصمة هو الوريث الوحيد لعمه ، وحتى يصل السن سيتم التحكم في اى ثروة يستحقها •

فقالت ميليدى في صوت بارد قاس :

ـ اجل ، وكنت سانتقم منذ مدة طويلة لولا ان الكاردينال أصر ان اكون على وفاق مع هذا الجاسكوني البغيض ، ولا استطيع أن افهم لماذا !

ارتعد دارتنيان ونزل السلم على اطراف أصابعه، وخرج من المنزل لكي يهدىء من ثورة غضبه •

وأسرع دارتنيان في الصباح التالى باحثا عن آتوس وابلغه بما قد سمع مصادفة •

فقال آتوس :

ـ صاحبتك ميليدى سيدة شريرة ، يبدو أن لديك عدوا فظيعا ·

ونظر آتوس ، أثناء الحديث ، الى خاتم السفير فى اصبع دارتنيان واردف قائلا :

ـ انه خاتم جميل ، انه يذكرنى بجوهرة عائلية كنت اقتنيتها ذات مرة ، هل بادلت به خاتمك الماس ؟

ـ كلا ، انه هدية من ميليدى ·

فصرخ آتوس :

ـ ماذا ! هل جاءك هذا الخاتم من ميليدى ؟

وتفحص آتوس الخاتم واصبح شاحبا وقال لنفسه :

ـ مستحيل ! لايمكن ! كيف يصل هذا الخاتم الى أن تقتنيه ميليدى ؟ بالاضافة الى أنه من الصعب افتراض تشابه جوهرتين بهذا الشكل !

فقال دارتنيان :

ـ هل تعرف هذا الخاتم ؟

فقال آتوس :

ـ ظننت ذلك ، ولكن لابـد اننى مخطىء .. أرجوك يا دارتنيان اما أن تخلعه أو تدير السفير الجهة الأخرى ، فالخاتم يعيدنى لذكريات قاسـية ، ولكن انتظر ! دعنى أفحص الحجر ، فالذى ذكرته لك كان به خدش على وجه منه .

فخلع دارتنيان الخاتم وناوله لآتوس ، ونظر اليه آتوس وبهت ، ثم قال مشيرا الى الخدش اللى ذكره :

ـ انظر . انه هو نفسـه ، كمـا أخبرتك انها جوهرة قديمة كانت ملكا للأسرة ولقد ورثتها عن أمى .

فاستفسر دارتنيان مترددا :

ـ وأنت .. هل بعتها ؟

فاجاب آتوس ببطء وهو مستغرق فى التفكير :

ـ كلا .. لقد اعطيته لمن كنت احب .

واخذ دارتنيان الخاتم ثانية ووضعه فى جيبه لا فى اصبعه .

فقال آتوس وهو يأخذ يد دارتنيان :

ـ دارتنيان ، أنت تعلم أننى انظر اليك كابنى . خذ نصيحتى وتجنب هذه المرأة . اننى لا أعرفها ، لكن شيئا ما يقول لى انها يمكن ان تجلب كل الشر ،

فقال دارتنيان :

ـ انك على صواب . سوف أتجنبها ، فليس بينى وبينها اى شىء .. ولكن لاتقلق لاننا سنغادر باريس بعد أيام قليلة لنأخذ دورنا فى حصار روشيل .

وبعد ما غادر دارتنيان ، جلس آتوس صامتا وسارحا بفكره فوق نبيذه ، وكانت المكاره تشوشها ذكريات الماضى وتسترجع مناظر حاول كثيرا أن يكبتها وينساها ، ولكن بلا جدوى ..

ورأى نفسه مرة أخرى الكونت دى لاديز ..
شاب من نبلاء فرنسا ، وهذا هو الاسم الذى كان يحمله . اسم قديم شريف المحتد ، وفى بلدته كان له سلطانه ، وكلمته كانت قانونا .

وتحتوى هذه الذكريات على منظر فتاة عذراء لطيفة جميلة كالملاك ، تبدو وكأنها تحمل معها نسمة ربيع ، جاءت مع أخيها الذى حصل على مركز فى كنيسة القرية الكائنة فى اقطاعية الكونت . وبدت بريئة ورقيقة . وكان أخوها ورعا يخشى الله ، حتى انه لم يسألهما أحد عند قدومهما أو يشك فى أنهما أى شىء آخر غير ما يظهران به . وشاهد النبيل الفتاة كثيرا عند ركوبه عبر القرية وأخذ حب الشاب لأن الرقيقة ينمو يوما عن يوم .

أخذت مناظر الذكريات تتوالى فى الظهور ..
وهما يمشيان تحت أشجار الصنوبر حاوة الرائحة على طول الممرات التى تزكيها رائحة الزهور .. وبجانب خدير الماء البارد الرقراق .. وعند القنطرة الريفية

البسيطة التى اعتادا أن يحوما حولها فى الظلال الممتدة فى آخر النهار .. وهناك المنزل الصيفى عليل الهواء اللطيف والهادىء .. مستور معظمه تحت اللبلاب المتسلق .. هاهو يأخذها . دون مقاومة . بين ذراعيه ويقبلها .

وتزوجها الكونت الصغير ، رغم انها ليست نبيلة المحتد ، ورغم استهجان عائلته ، وهكذا أصبحت السيدة الأولى فى المقاطعة .

واشتعل آتوس قلقا عندما خبا المنظر .. وظهرت الحادثة الرهيبة فى ميدان الصيد بتفصيل مفعم بالحيوية .. شاهد زوجته تسقط من على ظهر حصانها وتصطدم بالأرض وتغيب فى اغماءة تشبه الموت .. وشاهد نفسه يشق الجزء العلوى من ردائها فى خوف مرتعش ليعطيها مزيدا من الهواء لتتنفس .. وتتعرى بشرتها الحليبية الناعمة لكتفها لمن يرشقونها بعيونهم من المتزاحمين من حولها .. ويشاهد العلامة المروعة ،

علامة العار الأكبر ختم الجلاد العام بالوشم الحديدى(١) لفلير دى لى (٢) ·

زوجته الكونتيسة دى لافير مجرمة ومدانة من قبل الدولة · لطم هذا الاكتشاف كبرياءه لطمة رهيبة لم يفق منها مطلقا ·· وغادر الكونت دى لافير فى تلك الليلة ، قصره الريفى ، بلا عودة !!

اما هى فاحتمال بقائهـا حية ، لأى سبب من الأسباب ، رغم افتراض موتها · لايحيى أى احساس بالشفقة فى قلب آتوس ، ولم يلطف الزمن من اللطمة

---

(١) الوشم بالكى بحديد ساخن كما يفعلون حاليا بالماشية للاستدلال على مالكها · كان فى وقت ما عقوبة ينزلونها باللصوص وبعض المجرمين وينفذ على الخد والجبهة وكف اليد · وفى زمن القصة كانوا ينفذونها فى فرنسا على الكتف ·

(٢) فليردى‌لى ومعناها زهرة السوسن ، تصميم زخرفى لثلاث زهرات من السوسن وهو يرمز لشعار الملكية الفرنسية ، وكان يستخدم أيضا كعلامة رسمية لبضائع الحكومة ، الخ ···

التى تلقاها بأى شكل من الأشكال ·· ورفع كأسه وشربه ·· وغاص رأسه ببطء ، حتى ارتاح على ذراعيه الممتدتين عبر المائدة ·· وأخذت الشمعة المشتعلة تذبل وتذبل ، حتى تلاشت بلا مبالاة ·· وهكذا ظل آتوس حتى طل ضوء الفجر البارد من خلال النافذة ·

الفصل السادس عشر

سر ميليدى

ورغم ما عرفه دارتنيان عن ميليدى حاليا ، الا أنه شعر بانه ليس من الأدب أو اللياقة ان يغادر باريس دون ان يقول لها كلمة وداع • ولذلك مر عليها بعد ليلتين ليخبرها بمغادرته المبكرة مع فرقته الى الساحل الغربى لفرنسا ليأخذوا دورهم فى حصار روشيل • وعلى كل ، فهى لاتعلم أنه سمعها ، مصادفة ، وهى تتكلم عنه مع وصيفتها • بالاضافة الى أنه لايريد اثارة شكوكها بتوقف زياراته فجأة التى زادت فى الفترة الأخيرة •

ولم يبق طويلا ، وعندما شعر بأن من الأدب أن ينهض ، نهض مودعا · وكانت ميليدى رائعة كعادتها ، وعرضت عليه وهى تبتسم بمرافقته حتى الباب . فاشتبك ثوبها ، أثناء قيامها ، فى كعب حذائها الأيسر فانتزعه بحدة من الخلف · ولم يستطع الثوب الحريرى الرقيق ولا (الدانتيل) أن يصمدا ازاء هذا الحادث الخشن ، فتفسخ من عند الأكتاف ·

وتقدم دارتنيان ، بطبيعة الحال ، عندما رأى ارتباك ميليدى ، ليساعد فى فك اشتباك ثوبها ، فرأى على أحد الكتفين المكشوفين بسبب الثوب الذى تمزق ، شيئا أجفله ، لدرجة أنه لم يستطع الا أن يقف محملقا فى انبهار · كان يوجد على بشرة كتفها البيضاء وصمة العار : « زهرة السوسن » ·· وصمة المجرم المدان الذى يقوم الجلاد العام بكيها بالحديد المحمى على النار ·

والتفتت ميليدى ، وتحققت ، فى لمحة واحدة أنه اكتشف سرها ·· سرها المفجع الذى خبأته حتى على وصيفتها ·· فصرت ، اذ لم تعد امرأة ، بل قطة برية

ـ حقير ! عرفت سري ٠٠ ساقتلك !!

وركضت عبر الغرفة الى مائدة جانبية ، وسحبت درج بأيد مرتعدة وقبضت على خنجر صغير له مقبض ذهبي ، واستدارت والقت بنفسها على دارتنيان ٠

ورغم شجاعته المعروف بهـــا ، ارتعد عند تغير مظهرها ٠٠ كانت نظراتها متوحشة ٠٠ عيناها متأججتين ٠٠ وجنتاها شاحبتين .. شفتاها داميتين ممسوكتين بين اسنانها ٠٠ لقفز الى الخلف ، وكأنه يهرب من حيـة سامة ، وسحب سيفه وهو لايدرى ما يفعله ٠

اخذت تضربه بخنجرها بعنف غير عابئة بالسيف ، ولا بثوبها الممزق ولا بتهتك كتفيها العاريتين ، وتراجعت وهي تلهث بثقل عندما أحست بالطرف الحاد للسيف على حلقها ، وحتى عندئذ حاولت في هياجها الأعمى أن تقبض على السيف بيدها لتصل الى دارتنيان ، ولكنه اطلق عنانه ، واعاد تسديد سيفه على حلقها مرة وعلى عينيها مرة أخرى ٠

وأخذت تصرخ باللعنات في صوت يخيف . ير
حد ذاته ، أي رجـــل عادي ، وانهالت عليـه ضربا
بشكل يائس .

واسترد دارتنيان نفسه في الحال ، فمهما كان
فلا يتساوى كل ما حدث مع أية مبـــارزة ، ثم أجبر
ميليدي على الرجوع حثيثا عبر الغرفة بينما أخذ هو
طريقه الى الباب ، وهدفه الوحيد الهرب ، وتحسس
مقبض الباب من خلفه بيده اليسرى دون أن ينظر اليه ،
وأداره ورفس البــاب بكعب حـذائه فانفتح ، وبقفزة
واحدة أصبح خارج الغرفة . وبسرعة البرق أغلق الباب
من خلفه . وأدار المفتاح في القفل .

وأسرع راكضا السلالم بعد ان أغمد ســيفه
ووقف في طريق الباب الخارجي أسفل السلم ليهدئ
من روعه . وليمسح حبـــات العرق عن حاجبيـه
واستطاع سماع صرخات ميليدي وضربات خنجرها
وهي تطعن الباب المغلق بتهور .. ثم ترك المنزل شاقا
طريقه بكل سرعة الى مسكن آتوس .

واندهش آتوس ليحظى بزيارة متأخرة هكذا من دارتنيان الذى كان شاحبا مضطربا ، فامسك آتوس بيديه وسأله :

ـ ما خطبــك ؟ هــل مات الملك ؟ هل قتلت الكاردينال ؟ هيا ، هيا ، أخبرنى !

فقال دارتنيان :

ـ آتوس . جهز نفسك لصدمة شديدة .

فقال آتوس بعد ما وضع كأسا له على المنضدة وفتح زجاجة النبيذ :

ـ حسن !

وتردد دارتنيان للحظة . ثم همس :

ـ ميليدى موسومة على كتفها «بزهرة السوسن» .

فصاح آتوس :

ـ ماذا ؟ ماذا تقول ؟!

فقال دارتنيان :

ـ هل أنت متأكد مما قلته لى ذات مرة ·· ان تلك المراة الأخـــرى ·· المراة الاخرى الموســومة ـ زوجتك ـ أنها ماتت حقا ؟

اطلق آتوس تنهيدة عميقة وترك راســه يغوص فى يديه لعدة لحظات · وعندما رفع راسه لاحظ عليه دارتنيان أن كل علامات الحزن والاسى قد حل محلها تصميم بارد وعزم قاس ·

فقال دارتنيان :

ـ هذه امراة فى حوالى السابعة والعشرين من عمرها ، ولكنها تبدو أصغر ·

فقال آتوس :

ـ شقراء ، أليس كذلك ؟

ـ جـدا ·

ـ عيون زرقاء برموش وحواجب داكنة ؟! ·

ـ أجـل ·

ـ طويلة وحسنة القوام ؟!

ـ أجـل ·

ـ ووصمة « زهرة السوسن » صـغيرة وردية اللون وتبدو وكان جهودا قد بذلت لازالة العلامة ؟!

ـ أجـل !

فقال وكان فكرة فجائية قد طرات له :

ـ لكن ·· ولكنك قلت أنها كانت انجليزية ·

فقال دارتنيان :

ـ انها تدعى ميليدى ، ومع ذلك فمن السـهل ان تكون فرنسية . فهى تتكلم الفرنسية بلا شائبة ، وعلى كل فلورد ونتر مجرد أخو زوجها ·

ـ انها هى ·· زوجتى ، وكنت أظن أنها ماتت · ساقوم بزيارة لها ·

ـ خذ حذرك يا آتوس ، فهى قادرة على أى شىء · هل شاهدتها وهى غاضبة ؟

فقال آتوس :

ـ كلا .

ثم حكى دارتنيـــان عندئذ كل شيء حدث له واضاف قائلا :

ـ انها قطة برية .. نمرة .. واقسم بشرفى . ان حياتك لن تساوى شعرة اذا علمت أنك مازلت حيا .. لحسن الحظ أننا سنغادر باريس بعد غد .

فاجاب آتوس :

ـ هل تظن الحياة تعنى كثيرا بالنسبة لى .

ـ يوجد سر جديد يحيط بها .. انها بالتأكيد احدى جواسيس الكاردينال .

فقال آتوس :

ـ فى هذه الحالة خذ حذرك أكثر . فالكاردينال لم يغفر لك موضوع مـاســات الملكة . واذا خرجت ،

فلا تخرج بمفردك . بل وعندما تأكل اتخذ كافة الاحتياطات . وشك في كل شيء حتى في خيالك أنت .

فقال دارتنيان :

ـ لحسن الحظ . لن تكون مثل هذه الاحتياطات ضرورية حيث سنكون في طريقنا غدا للالتحاق بالقوات قرب روشيل . وآمل هناك ألا نخشى سوى الرجال .

فقال آتوس :

ـ ومع ذلك . سأرافقك الى سكنك .

وابلغ آتوس رجله جريمود . عندما خرجا بعد ساعة ، أن يحضر بندقيته ويتبعهما على بعد عدة خطوات .

الفصل السابع عشر

دارتنيان يركض هاربا

وفي صباح اليوم التالي ، أجرى لويس الثالث عشر استعراض القوات المنتخبة للهجوم على ميناء روشيل ·

وكانت الناس مصدر ازعاج وقلاقل بالنسبة للكاردينال لعدة سنين · وعدم اخلاص السكان ومكائدهم ضد الملكين جذب المشاركين وجدانيا والمغامرين وقناصي الثروات من جميع الجنسيات ، فوجد أعداء فرنسا ترحيبا جاهزا ولجوءا آمنا داخل جدران المدينة· علاوة على ان روشيل كانت آخر ميناء ظل مفتوحا للانجليز الذين اعتبرهم الفرنسيون في هذا الوقت اعداءهم الطبيعيين ·

ولقد وعد الانجليزى ، أو على وجه التحديد دوق باكنجهام ، أكبر عدو للكاردينال ، سكان روشـــيل بامدادهم بالمساعدات ، لتمكينهم من المقاومة ضد أى هجوم من قبل القوات الملكية . وعنـدما علم لويــس الثالث عشر أن باكنجهام قد أرســل قوة من تسعين سفينة وعشرين ألف رجل ، وانه رســـا بالفعل على شاطىء جزيرة رى المقابلة لقلعة روشـــيل المحاصرة . لم يعد يشك فى كلمة الكاردنيال فى ان هنــاك خطرا داهما على مملكة فرنــسا . لذلك قرر ارسال جيش من الرجال المنتقين ليحلوا محل المتمردين ، على أن يشرف بنفسه على الهجوم بمساعدة الكاردينال .

ومع ذلك ، لم يغادر باريس مع قواته الرئيســية . وكان على حرسه الشخصى ـ الفرسـان ـ أن يبقوا معه فى الخلف ، وهذا ما كان يضايق الأصدقاء الأربعة . وبعد العرض مباشرة ، انطلقت القوات التى قادتهـا فرقة حرس الملك التى يتبعها دارتنـــان متجهة الى الساحل الغربى .

كان الجاسكوني الصغير راكبا في خيلاء مع رفاقه . ومنشغلا تماما حتى انه اخفق في ملاحظة ميليدي التي تمتطي جوادا جميلا في لون الكستناء ، ووقفت في مكان يمكنها من رؤية القوات عند مرورها بكل وضوح · وكان بالقرب منها رجلان يمتطيان جوادين رائعين · وعندما تبين أحدهما دارتنيان ، اومأت اليهما . وبالتأكيد لن يخفق الرجلان في التعرف على دارتنيان مرة ثانية · واعطتهما تعليمات معينة في صوت هادىء وحاسم . ثم ركض الرجلان بجواديهما في نفس اتجاه القوات ·

وتوقفت القوات عند مشارف روشيل · واقاموا معسكرا في انتظار وصول الملك وهكذا انفصل دارتنيان عن أصدقائه الثلاثة . ولديه الآن الوقت الوفير للتفكير في هدوء لقد اكتسب منذ وصوله الى باريس كثيرا من الخبرة ، وكسب أربعة أصدقاء مخلصين · لاشك أنا عد مسيو دى تريفى كصديق !

ولكن عندما جاء ليتأمل في مستقبله · لم يجد سوى افكار عابسة ·· وعلى قدر رؤيته . فلقد خلق

لنفسه عدوا رغم عدم أهميته ، من الكاردينال ، الرجل الذى يرتعد أمامه عظماء الرجال بالمملكة ، ويمكن للكاردينال ان يسحقه ، ومع ذلك ولأسباب خفية . لم يفعل .

اما عدوه الآخر - ميليدى - فهى أقل شأنا لكى يخاف منها .. ومع ذلك كان يشعر بانها ليست بالعدو الذى يستخف به .

اخذ دارتنيان يسير ببطء على طول الطريق المؤدى من المعسكر الى قرية صغيرة مجاورة ، مقلبا هذه الأفكار لنفسه فى برودة آخر النهار اللطيفة . ولقد لفت انتباهه على مسافة من المعسكر حركة خفيفة لشىء على جانب الطريق ، وكان هذا الشىء يلمع فى اشعة الشمس الغاربة ، وتخيل أنه ماسورة بندقية .

ويتمتع دارتنيان بسرعة البصر والبديهة .. فمن الواضح ان البندقية ، لم تات بمفردها .. وان الشخص الذى يحملها لم يختبىء خلف السور حاملا نوايا طيبة .. ورأى فى نفس اللحظة ماسورة بندقية

أخرى تبرز من خلف صخرة على الجانب الآخــر من الطريق ·· انه شرك بكل وضوح ·

ولما تطلع الى البندقية الأولى رآها تتجه ناحيته ببطء ، وعندما رآها لاتتحرك ألقى بنفسه على الأرض . وبعد لحظة أخرى انطلقت البندقية ، ومرت رصاصة من فوق راسه ·

كان لايجب تضييع دقيقة واحدة ، فهب دارتنيان على قدميه وقفز جانبا . وفى الحال انطلقت البندقية الثانية ، وارتطمت رصاصة بالأرض حيث كان راقدا ·

كان دارتنيان جاسكونيا . فهو لايبحث عن ميتة سخيفة حتى يقال انه ثبت ولم يتراجع خطوة واحدة ·· بالاضافة الى أن الشجاعة هنا . ليست محل اعتبار ·

لذلك أخذ ذيله فى أسنانه وركض هاربا متجها الى المعسكر على قدر ما تسعفه ساقاه · وخصوصا أن الأول الذى أطلق النار . أعاد حشو بندقيته · وكان تصويبه هذه المرة أفضل ، اذ ضربت الرصاصة قبعة دارتنيان فحملتها بعيدة عنه عدة خطوات ·· ولما كانت

هذه هي القبعة الوحيدة لديه . جازف دارتنيان وتوقف لالتقاطها .. ولراحته العظيمة لم تطلق رصـــــاصة اخرى .

وصل الى المعسكر شـــاحبا . لاهثا . منقطع النفس . وذهب الى خيمته مباشرة ، دون ان يكلم احدا . وجلس بمفرده ، واخذ قبعته . وفحص الثقب الذى سببته الرصاصة بعناية . فايقن ان الرصاصة التى تسببت فى الثقب ليست عسكرية .. ولذلك فهو ليس شرك من قبل الاعداء ، ورفض ان يعتقد بأن الكاردينال قد يستخدم مثل هذه الاجراءات المريبة للتخلص منه او من اى عدو آخر .

اغلب الظن ان ميليدى قد استاجرت هؤلاء الأوغاد لتنفيذ امرها فى اول فرصة سانحة . وحاول ان يتذكر مظهرهم او ثيابهم . ولكن بسبب فراره السريع لم يلاحظ شيئا .

وفى هذه الليلة امر بحراســة خيمتــه . وظــل بالداخل متعللا بأنه مرهق ويحتاج الى الراحة والهدوء .



اخذ دارتنيان ذيله في اسنانه وركض هاربا

الفصل الثامن عشر

مهمة خطرة تجلب نتائج غير عادية

وبعد ذلك بايام قليلة قام دوق دى اورليانز . الآمر للقوات الفرنسية أمام روشيل ، بالتفتيش عل المعسكر . وكان راضيا عن كل شيء رآه ، ومدح مسيو ديزيسارت رئيس حرس الملك بشكل خاص .

والتفت دوق دى أوليانز ورفع صوته قائلا :

ـ انى اطلب ثلاثة او اربعة متطوعين مع قائد كفء لتنفيذ مهمة خطيرة !

فقال مسيو ديزيسارت مشيرا الى دارتينيان :

ـ الرجل الذى يفردهم موجود هنا ·

فخطا دارتنيان الى الأمام رافعا سيفه ونادى قائلا :

ـ أربعة رجال يواجهون الموت معى ·

فتقدم اثنان من الحرس . وتبعهما اثنان من الجنود فى الحال · وقبل دارتنيان هؤلاء الأربعة الذين أظهروا رغبة أكيدة . ورفض جميع الآخرين ·

وظهر أن حامية روشيل قامت بهجوم ، أثناء الليل ، واعادت اسر الباستيون (*) الذى كانت القوات الملكية قد استولت عليه قبل أيام قليلة ·

وكان واجب دارتنيان هو فحص هذا الباستيون عن كثب ليرى كيف يقوم العدو بحراسته ·· وانطلق مع رفاقه الأربعة ، وساروا على طول خندق ضيق

(*) برج يتبع التحصينات الخارجية حول المدينة ·

حماهم حتى اصبحوا على بعد مائة خطوة من الباستيون ·· ووقفوا يتصنتون ويتطلعون الى الضفة المحمية ·· ولاحظ دارتنيان أن الجنديين لم يعودا خلفه ، ففكر :

ـ الجبناء ، ربما اختفيا نتيجة خوفهما ·

وبعد ذلك بقليل استداروا حول منعطف . فوجدوا انفسهم على مسافة ستين خطوة من هدفهم مع عدم وجود جندى واحد ، وظهر الباستيون وكأنه مهجور ·· وقبل أن يقرروا الذهاب أو الانتظار للمراقبة انطلقت دستة من رصاص البنادق تصفر مارة قرب ثلاثتهم ·

فدلهم ذلك على كل ما يبغون معرفته ، ان الباستيون محروس ·· فركضوا فى الحال · وبمجرد أن داروا حول منعطف الخندق سقط أحد رجلى الحرس برصاصة فى الصدر ، بينما كان الثانى فى المقدمة يشق طريقه نحو المعسكر باقصى سرعة ممكنة ·

وعندما وقف دارتنيان لمساعدة الرجل الذى

سقط . فاذا برصاصتين أخريين تنطلقان ، فاصابت احداهما راس الرجل الميت من قبل ، واصابت الأخرى جانب الخندق بالقرب من دارتنيان ٠

وكان من الواضح ، من اتجاه الرصاصة ، أنها لم تات من الباستيون . ثم خطـر الجنديان فى ذهن دارتنيان ، وتذكر عندئذ محـاولة اغتياله بعد ظهر الأمس ٠٠ فصمم أن يكتشف هذه المرة ، مع من يتعامل ، فسقط على جثة رجل الحرس الميت . وكأنه قد اصيب ٠

وبعد فترة وجيزة ، ظهر راسـان عند منعطف خنـدق جانبى . فكانا راسى الجنديين ٠٠ ولم يكن دارتنيان مخطئا فى حدسه ٠٠ فلقد انتهز الرجـلان فرصة ذهابهما مع دارتنيان آملين قتله فيبدو أنه قتل بواسطة العدو ٠٠ ولكن اذا جـرح دارتنيـان فقط فسيملن عنهما فيما بعد ، لذلك اقتربا منه ليتأكدا ٠٠ ومن سوء حظهما ، أن حيلة دارتنيـان قد خدعتهما . لذلك تباطآ فى اعـادة حشو بندقيتيهما ، ووضـع

دارتنيان في اعتباره ألا يترك سيفه ·· وعندما أصبحا على بعد خطوات قليلة منه قفز على قدميه ·

وأدرك القاتلان في الحال بأنه لن يجديهما الفرار الى المعسكر دون قتل رجلهما أولا ·· وكانت خطتهما أن يلتحما بالعدو اذا فشلا · وضرب أحدهما دارتنيان بمؤخرة بندقيته · فتفاداها دارتنيان بأن قفز جانبا ، فأفسح بذلك مجالا حرا للجندى الثانى لاجتيازه مندفعا فى اتجاه الباستيون ، وأطلق حرس الباستيون النار فسقط مكسور الكتف ، وهاجم دارتنيان فى هذه الأثناء الجندى المتبقى ·· واستمر القتال لاحظات قليلة سقط بعدها الجندى بطعنة سيف فى فخذه ·

وصرخ الجندى متوسلا ، عندما وضع دارتنيان طرف سيفه عند حلقة :

ـ لاتقتلنى · سامحنى ، سامحنى ، وسأخبرك بكل شيء !

فقال دارتنيان :

ـ لماذا ؟ هل سرك له اهمية كافية ليوقفنى عن قتلك ؟

ـ أجل ، اذا كنت تعتقد أن الحياة تساوى اى شيء لشاب شجاع وجميل مثلك ٠

فصرخ دارتنيان :

ـ يا وغد ، تكلم فى الحال ! من استخدمك لقتلى ؟

ـ انا لا اعرف من هى سوى أنها تدعى ميليدى ٠

ـ اذا لم تعرفها ، فكيف تعرف اسمها ؟

ـ رفيقى تكلم معها ، وأبرمت الاتفاق معه ٠ وفى الحقيقة ، لديه رسالة منها فى جيبه ٠

ـ وكيف اشتركت فى هذا العمل ؟

ـ لقد اقترح على مشاركته ، ووافقت ٠

ـ وماذا تكسب من وراء ذلك ؟

ـ مائة لويس فيما بيننا ·

فقال دارتنيان ضاحكا :

ـ وهكذا تعتقد انني أساوي شيئا · مائة لويس! اغراء كاف لوغدين مثلكما · وعلى كل سأبقي على حياتك تحت شرط واحد ·

فسأل الجندي متلهفا :

ـ ما هو ؟

ـ أن تذهب وتأتي بالرسالة التي تقول انها في جيب رفيقك ·

فصرخ الجندي :

ـ كلا . كلا . انها طريقة أخرى لقتلي · فالجنود في الباستيون سيقتلونني لا محالة ·

ـ هيا ! فرر ·· اذهب واحضر الرسالة والا ساغرز سيفي في قلبك ·

فصرخ الرجل ملقيا بنفسه على ركبتيه :

ـ سامحنى يا سيدى .. الشفقة !

فصرخ دارتنيان مندفعا نحو الرجل لجاة وبعنف :

ـ لابد أن احصل على هذه الرسالة .

فولول الرجل ، خائفا على عمره . قائلا :

ـ ساذهب ، ساذهب .. !

وزحف الرجل الجريح نحو رفيقه مرتعشا والفزع من الموت باد على وجهه . فأخذت دارتنيان الشفقة عليه ، عندما شاهد الرعب على وجه الرجل ولاحظ الدم الذى يفقده ، فقال بنظرة احتقار :

ـ قف ، سوف اريك الفرق بين رجل شجاع وجبان مثلك . ابق كما أنت وساذهب بدلا عنك .

ووصل دارتنيان الى الجندى الثانى فى أمان ، بعد ما راقب ، بحرص ، تحركات الرجال القائمين بالحراسة ، ومستغلا الصخور والحفر فى حماية نفسه.

وبقى شيء أو شيئان ليقوم بهما حاليـــا . فهو يمكنه أن يفتش الرجل فى الحال ، أو يحمله ويعود به مستخدما اياه كدرع واق . ثم يفتشه في الخندق .

وعزم دارتنيان ، بدون تردد ، على الخطة الثانية . ورفع الرجل على كتفه . ففتح العدو نيرانه . وشعر دارتنيان بثلاث رصاصات تصيب الرجل على الأقل ، وهكذا أنقذه من القتل من اراد قتله ! وعاد الى الخندق بدون اصابة ، ووضع دارتنيـــان الميت على الأرض ، وفتش فى جيوبه .

فوجد الرسالة فى جيبه الداخلى ، وقرأ فيهـــا ما يلى :

ـ « لا تخطىء الرجل . اذا حدث ، فأنت تعرف أن يدي تمتد لأبعد مدى ، وستدفع اغلى بكثير من المائة لويس التى استلمتها منى » .

لم يكن بها اى توقيع . ولكن ليس هناك أدنى شك من أن الرسالة من ميليدى ، ووضع هذه الرسالة فى جيبه بعناية ، فهى تشكل دليلا قيما ضدها .

واستدار دارتنيان نحو الرجل الجريح وأمسك بيده قائلا :

ـ لا استطيع ان اتركك هنـا . وانت في هذه الحالة · استند على ذراعي . ولنعد الى المعسكر ·

فانكب الرجـل على ركبتيه وانحنى ليقبل قدمي دارتنيان ، وتوسل قائلا :

ـ الشفقة يا سيدي ، انك تأخذني الى حيث اشنـق · دعني أموت هنا · الشفقة ·

فقال دارتنيان حانقا على جبن الرجل :

ـ انهض . واقسم بكلمتي · وللمرة الثانية بانني سابقي على حياتك ·

لقد وصل رجل الحرس الى المعسـكر في أمان واعلن موت الأربعة الآخـرين . ولذلك ابتهج الجميع عند مشاهدة دارتنيان راجعا ومعافى ·

وشرح دارتنيـان كيف هاجموا العدو للحصول على معلومات أكثر . وكيف قتل العدو الرجلين وجرحوا الجندي الذي احضره معه .

ومدح الجيش كله دارتنيـان بشكل كبير . ولم يتحدثوا طوال اليوم الا عن نجاحه في هذه المهمة . وحتى دوق دي أورليانز هنأه بعد سماع تقريره .

والآن . قد قتـل واحد من أعدائه . ولا يرغب الآخر الا في خدمته . وشعر دارتنيان بالراحة الذهنية .

واثبتت هذه الراحة أن دارتنيان كان سيء الحكم على ميليدى .

الفصل التاسع عشر

.. نبيذ انجو

ومرت أيام ولم يصل الملك كما كان متوقعا ، واتضح ان مرضا طفيفا كان سبب التأخير . واستمر دارتنيان في حياته العملية سعيدا . وكان قلقه الوحيد ناتجا عن قلة الاخبار عن أصدقائه الثلاثة ..

وكان فرحه كبيرا عند استلامه ، بعد بضعة اسابيع ، هذه الرسالة :

سيد دارتنيان :

لقد حظيت باستضافة السادة آتوس ، وبورتس، وأراميس بمنزلي . ولقد سر هؤلاء السادة بنبيذ انجو ،

حتى أنهم ابدوا رغبتهم فى أن ارسـل لك دسـتة زجاجات منه ·

ولقد قمت بذلك . وأظل ياسيدى مع احترامى العظيم ·

خادمكم المطيع المتواضع

جوديو

فصرخ دارتنيان :

ـ رائع ! لقد فكروا فى فى أوقات سرورهم ، كما فكرت فيهم فى أوقات ضيقى · ومع ذلك فلن اشرب فى صحتهم بمفردى ·

واسرع فى الحال ليبحث عن رجلين من الحرس ، كان قد تصادق معهما · فكان أحدهما فى خفارة تلك الليلة ، والثانى فى الليلة الثانية ، لذلك تم الاتفاق على أن يتناول ثلاثتهم العشاء فى الليلة التاليـة لذلك ، ويشربوا فى صحة أصدقائهم الغائبين ·

وأعطى دارتنيان رجله بلانشيت مسئولية زجاجات النبيذ الاثنتي عشرة ، والتعليمات لاعداد العشاء الخاص ·

كان بلانشيت سعيدا بذلك ، فقام بالمهمة بنية طيبة ، مدركا أن سيده سوف لايمانع في اعطائه قليلا من هذا النبيذ الفاخر · وكان في مساعدته ، الجندى المزيف الذى أصبح الآن في خدمة دارتنيان · بالاضافة الى خدمات فورو خادم أحد الضيفين ·

وجاء وقت العشاء · وأخذ الأصدقاء الثلاثة اماكنهم · ووضعت الأطباق على المائدة بنظام ، وقام بلا نشيت بالخدمة عليهم ، وقام فورو بفتح الزجاجات، وقام بريسموند · الجندى المزيف بسكب النبيذ في الكاسات · وعندما فتح الزجاجة الأولى قام فورو بخضها ، لذلك أصبح النبيذ غير صاف · فأبلغ دارتنيان الجندى بأنه يستطيع شرب هذا النبيذ ، عله يساعده في سرعة ابلاله من جرحه ، ويملأ الكاسات من زجاجات جديدة ·

انتهى الضيفان من تناول حسائهما ، وكانا على وشك أن يرفعا بكاساتهما ليشربا نخب مضيفهما ، عندما سمع الجميع صوت بنادق ، فخشى ثلاثتهم من هجوم مفاجيء ، فقبضوا على سيوفهم وانطلقوا مسرعين الى مواقعهم ٠

وبمجرد خروجهم من الغرفة سمعوا هتافات مجلجلة :

ـ عاش الملك ، عاش الكاردينال ٠

وكانت طلقات البنادق ما هى الا تحية لقدوم الملك ٠

ووصل الملك ، أخيرا ، مع فرسانه وعشرة آلاف رجل ٠ وانتصب دارتنيان فى مقدمة سريته ، وبعد انتهاء احتفال الاستقبال تلاقى الأصدقاء الأربعة مرة أخرى ٠

وصرخ دارتنيان فى سعادة :

ـ ليس هناك افضل من اللحظة التى وصلتم فيها ٠

وقام بتقديمهم لرجل الحرس وقال :

ـ والآن ، يمكنكم مساعدتنا في شرب نبيذكم .

فقال آتوس باندهاش :

ـ نبيذنا ؟

ـ لماذا ، أجل ! نبيذكم الذى أرسلتموه لى .

ـ النبيذ الذى ارسلناه لك ؟!!

ـ لماذا ، طبعا ـ نبيذ انجو الذى حاز اعجابكم !

فقال آتوس مختلسا النظر الى اراميس :

ـ هل أرسلته يا أراميس ؟

ـ كلا !

واستمر آتوس .

ـ انت يا بورتس ؟

ـ كلا !

فقال دارتنيان :

ـ حسن ، اذا لم يكن أنتم . فلابد أن جوديو هو الذى أرسله باسمكم !

فقال بورتس :

ـ لايهم من أين أتى ، المهم ان نشربه ، هلم بنا .

فقال آتوس بحزم :

ـ كلا . لسنا حمقى لنشرب نبيذا قادما من مجهول .

فقال دارتنيان :

ـ ولكن ! الم تطلبوا من جوديو أن يرسل لى بعض النبيذ ؟

ـ كلا ! لم يحدث ، ولماذا تعتقد اننا فعلنا ذلك ؟

فقال دارتنيان :

ـ هاهى الرسالة التى صاحبت النبيذ .

واظهر الرسالة لرفاقه ·

فقال آتوس بصوت مرتبك :

– لا يمكن ان تكون هذه الرسالة من جوديو ، بالاضافة الى أننــــا لم نتعش معه منذ شهور ! هذه الرسالة مزيفة ·

وصمت الأربعة ، وسرح كل مع خواطره ، وكان دارتنيان أول من يبدد هذا السكون · وصرخ قائلا :

– ميليدى ! ايمكن أن تكون هذه محاولة اخرى لاغتيالى ؟

واستدار فجاة ، واندفع الى غرفة الطعام ويتبعه من ورائه اصدقاؤه الثلاثة والضيفان · وأول شيء رآه دارتنيان عند دخوله الغرفة كان بريسموند وهو يتلوى على الأرض فى ألم فظيع · ويحاول بلانشيت وفورو مساعدته وهما شاحبان مرتعشان ، ولكن من الواضح أن الرجل ينازع الموت ، وكان يئن فى ألم ، وعندما وقع بصره على دارتنيان قال من بين أسنانه :

ـ آه ! بعد ما تظاهرت بعفوك عني ، سممتني

فتساءل دارتنيان :

ـ ماذا تقول ؟ يا وغد !

فلهث الرجل قائلا :

ـ لقد اعطيتني النبيذ ، وابلغتني أن أشربه لقد اردت أن تنتقم !

فقال دارتنيان :

ـ اقســـــم بشرفي ! انني لم اعرف بأن النبيـ مسموم .

ولكن ليس هناك فائدة من قول أي شيء اكثر فالرجل قد مات .

فقال آتوس :

ـ فظيع ! فظيع !

والتفت دارتنيان الى ضيفيه وقال :

ـ يا سادة ، أرجو منكما الا تتكلما عما قد حدث. ربمـــا يكون لاناس ذوى سلطة كبيرة يد فى هذا الموضوع ، وسيكون اكثر امنا لكما أن تكونا بعيدين عن ذلك .

فوعد رجلا الحرس بالا يذكرا الموضـــوع لاى شخص ، ثم شعرا بان الأصدقاء الأربعة يرغبون فى البقاء وحدهم ، لذا استاذنا بالانصراف وغادرا الغرفة .

فقال آتوس :

ـ فلنغادر هذه الغرفة ونأكل فى مكان آخر . فالموتى ليسوا رفاقا مبهجين على المائدة .

وقال دارتنيان قبل ان يخرج :

ـ بلانشيت ، سأترك جثة هـــذا الرجل فى رعايتك ، اطلب القسيس ، وتأكد من الدفن بالشكل الصحيح.. حقيقى أنه ارتكب جريمة ، لكنه تاب عنها.

وفى غرفة بالطابق العلوى ، قام صاحب الفند على خدمة الأصدقاء الأربعة ، وقدم لهم طعاما طازجا وشربوا ماء قراحا سحبه آتوس بنفسه من البئر الذ يقع خلف الخندق .

واثناء هذه الوجبــة البسيطة ، أخبر دارتنب اصدقاءه عن كل المحاولات السابقة لاصابته بالنار .

الفصل العشرون

فندق برج الحمام الأحمر

وبعد عدة ليال ، كان آتوس وبورتس وأراميس يركبون جيادهم عائدين ، على مهل ، الى المعسكر من فندق بالقرية المجاورة ، عندما سمعوا وقع اقدام جياد تقترب . كانوا ثلاثتهم مسلحين تماما وعلى أهبة الاستعداد ، ولكنهم لايعرفون ان كان القادم عدوا أم صديقا ، فتوقفوا متلاصقين في منتصف الطريق .

وظهر القمر في هذه اللحظة من وراء السحب ، فرأوا رجلين على صهوة جوادين . وفي نفس الوقت شاهد الراكبان المقتربان الرفاق الثلاثة فتوقفا أيضا ،

وظهر ترددهما في الاستمرار او الرجوع · وكان هذا التردد ، بالطبع ، كافيا لايقاف شكوك الفرسان الذين لايعرفون الخوف · **فصاح آتوس في الحال :**

ـ من يسير هناك ؟

فاجاب احد الراكبين :

ـ من أنتم ؟

فاجاب آتوس :

ـ هذه ليست اجابة · من يسير هناك ؟ أجب والا سنهجم !

فقال صوت ،يبدو معتادا على القاء الأوامر :

ـ من الأفضل توخي الحذر ياسادة ·

فقال آتوس لرفاقه :

ـ يبدو أنه ضابط عظيم في تفتيش ليلي · ماذا تقترحون ؟

فكرر نفس الصوت الآمر :

ـ من أنتم ؟ أجيبوا والا ستندمون على عدم الطاعة !

فقال آتوس مقتنعا أن المتحدث له الحق فى السؤال أكثر منهم :

ـ فرسان الملك !

ـ من أى سرية ؟

ـ مسيو دى تريفى .

ـ تقدموا ، واخبرونى ماذا تفعلون هنا فى هذا الوقت من الليل .

فسار الرفاق الثلاثة ببطء للأمام . ومع ذلك ، اعطى آتوس اشارة الى بورتس ، وأراميس للوقوف عندما راى أن المتحدث متقدم عدة خطوات للأمام عن الآخرين ، وتقدم هو بمفرده ، وقال :

ـ نرجو العفو يا سيدى . لم نعرف من انتم . ولكن يمكن ان تروا اننا نقوم بالحراسة .

فقال الضابط الذى يغطى جزءا من وجهه بعباءته :

ـ ما اسمك ؟

فقال آتوس متضايقا من الاستجواب .

ـ لكن من انت ياسيدى ؟ أود ان أعرف هل لك الحق فى استجوابى أم لا ! فطلب الراكب دون أن يكشف عن وجهه : ما اسمك ؟

فهتف آتوس فى اندهاش :

ـ الكاردينال !

فسأل الكاردينال للمرة الثالثة :

ـ ما اسمك ؟

ـ آتوس !

فنادى الكاردينـال مرافقه ، وقال في صـوت منخفض :

ـ على هؤلاء الفرســان الثلاثة أن يتبعوني · لا اريد أحدا أن يعرف أنني تركت المعسـكر ، واذا تبعونا فسنتأكد من أنهم لن يخبروا أحدا ·

فقال آتوس :

ـ سيدى ، نحن فرسـان · اطلب كلمة شرف منا ، ولاتخف · نحن نحفظ السر . كما تعلم !

فنظر الكاردينال بثبات الى آتوس ثم قال :

ـ لديك أذن حادة يـا مسيو آتوس · انني لم اطلب منك ان تتبعني لا لأنني لا اثق فيك ، ولكن لأنني قد احتـاج لحمايتك ، واعتقد أن رفاقك هم السـادة بورتس وأراميس ، أليس كذلك ؟

فأجاب آتوس :

ـ أجل ياسيدى !

فقال الكاردينال :

ـ اننى اعرفكم يا سادة ، اعرفكم • وآسف لانكم لستم اصــــدقائي تماما ، ولكنــكم على الأقل ، سادة شجعان مخلصون ، واعرف أننى يمكن ان اثق فيكم • ارجو أن تصاحبونني !

فقال آتوس :

ـ لقد احسنت ياسيدى فى أن تطلبنا لمواكبتك• لقد راينا العديد من الرجال ذوى المظهر الشرير على الطريق ، بل ووقعت منا مشاجرة بسيطة مع اربعة منهم عند فندق برج الحمام الأحمر •

فقال الكاردينال :

ـ مشاجرة ؟ لماذا ياسادة ؟ أنتم تعرفون اننى لا احب المتشاجرين •

ـ لهذا السبب يا سيدى . لى الشرف أن أبلغكم ، حيث قد يعطونك الآخرون صورة مزيفة ، وتلومنــــا بناء على ذلك •

فقال الكاردينال عابسا :

ـ حسن ، وماذا كانت نتيجة المشاجرة ؟

ـ حصل صديقي اراميس على جرح طفيف في ذراعه . ومع ذلك ، كمـــا ترى ، فهو مستعد لنزول الميدان غدا اذا لزم الأمر .

فقال الكاردينال :

ـ ليس من عادتكم أن تسمحوا لأنفســـكم بالاصابة بجراح هكذا . كونوا صريحين ياســـادة . أعتقد أنك قمت بالانتقام من احد .

فقال آتوس :

ـ أنا ! سيدي ؟ لماذا ، انني حتى لم أســـتل سيفي . انني قبضت فقط على الآثم والقيت به خارج النافذة .

ثم اردف مترددا :

ـ ومع ذلك . يبـــدو انه كسر فخذه نتيجـة للسقوط .

فقال الكاردينال :

ـ آه ! وماذا فعلت يا مسيو بورتس ؟

ـ اعلم ياسيدى ، أن المبارزة ممنوعة . لذلك امسكت بطاولة ولطمت احدهم بها . اعتقد أن اللطمة قد كسرت كتفه !

ـ وماذا فعلت يامسيو أراميس ؟

ـ كما تعرف ياسيدى ، فانا صبور جدا . ومولع بالدراسة ، واكره المشاجرات هجم على واحد من هؤلاء الأشرار وجرحني في ذراعي الأيسر ، فنفد صبرى ، وسحبت سيفى لادافع عن نفسى ، فاندفع على بعنف شديد حتى أنه ركض الى سيفى الذى مر من خلاله تماما ، كل ما أعرفه بالتأكيد . أنه وقع ، ولكنى أعتقد أن اثنين من رفاقه حملاه .

ـ يا للسماء ! ياسادة . ثلاثة رجال يصابون فى مشاجرة ! انكم لاتعملون عملا الا وتتقنوه . ما كان سبب المشاجرة ؟

فقال آتوس :

ـ كانوا مخمورين ياسيدى . واعتقدنا انهم قد يزعجوا السيدة التي وصلت الفندق هذه الليلة .

ـ وكيف كانت تبدو هذه السيدة ؟

فاجاب آتوس :

ـ اننا لم نرها .

فقال الكاردينال بحدة :

ـ لم تروها ؟ ومع ذلك أبليتم بلاء حسنا للدفاع عن السيدة ! انني ذاهب لبرج الحمام الأحمر بالمصادفة . وسأستطيع ان أثبت مدى صحة روايتكم !

فقال آتوس بافتخار :

ـ سيدى . لقد أخبرتك من قبل أننا سادة ، اننا لانكذب لنحمى أنفسنا .

فقال الكاردينال :

ـ أوه ! انني لا أشك في كلامك على الاطلاق . على فكرة هل كانت هذه السيدة بمفردها ؟

ـ كلا ، يبدو أنه كان لديهـا زائر · ولكنه لم يظهر نفسه ، بالرغم من الضجة ، ولذلك فهو على اغلب الاحتمالات جبان !

فقال الكاردينال :

ـ لاتتسرع فى الحكم ·· اتبعنى لو سمحت ·

ووصلوا الى برج الحمام الأحمر فى غضون دقائق قليلة . ولكن الكاردينال أمر مرافقه والفرسـان ان يتوقفوا على بعد مسافة قصيرة من الباب ·

ثم اقترب من باب جانبى وطـرق ثلاث مرات بطريقة معينة ، فخرج رجل يرتدى عباءة كبيرة ، وتحدث مع الكاردنيـال لبضع دقائق ، ثم قفز على حصانه المنتظر ، وانطلق ·

وقال الكاردنيال بعد ماركض الرجـل الغامض بجواده :

ـ اقتربوا ياسـادة ، لقد قلتم لى الحقيقة ، ولن تكون غلطتى اذا كان لقاؤنا هذه الليلة غير موات لكم يوما ما ·

وترجل الكاردينال ، مخبرا الآخرين أن يفعلوا مثله ، وسلم لجام جواده لخادمه ، وربط الفرسان الثلاثة جيادهم في السور ٠

وكان من الواضح على صاحب الفندق ، الذى جاء بنفسه الى الباب أنه يتوقع ضابطا عظيما ٠ ولكنه لايعرف من هو ٠

فسأل الكاردينال :

ـ هل لديك غرفة سفلية ٠ حيث يمكن للسادة أن ينتظروا قرب نار دافئة ؟

فانحنى صاحب الفندق ، وقادهم الى غرفة واسعة ، وكان الموقد الحديدى القديم قد تم استبداله بمدفأة حائط كبيرة وممتازة فيها نار مشتعلة مبهجة ٠

وعلق الكاردينال :

ـ ممتاز ٠ أدخلوا ياسادة ، وانتظرونى هنا ، فسوف لا أبقى طويلا ٠

ودخل الفرسان الثلاثة . وذهب الكاردينال الى الطابق العلوى فورا ، وكان واضحا أنه يعرف الطريق ، وجلس بورتس وأراميس على المائدة قرب النار ، بينما كان آتوس يذرع الغرفة ذهابا وايابا ، متسائلا من هو الذى سيشرفه الكاردينال بهذه الزيارة السرية ؟

وأثناء مشيه هذا مر عدة مرات على الموقد القديم غير المستعمل حاليا ، وكانت ماسورة المدخنة المكسورة تمر عبر السقف وتتصل بموقد فى الغرفة العليا بدون شـــك .

وكان يتخيل . كل مرة يمر على الماســـورة أنه سمع همهمة أصــوات ، لذلك وقف وتنصت ، واثار ما سمعه اهتمامه . لأنه أشار لاصـــدقائه بالهدوء . واقترب من ماســـورة المدخنة المكســورة ، فسمعوا الكاردينال يقول :

ـ اسمعى ياميليدى . ان هذا الموضوع مهم جدا .

ففكر آتوس :

ـ آه ! ميليدى !



واشار انوس لاصدقائه ليلزموا الهدوء

وبعد ما وضع اذنه على الماسورة مباشرة استطاع ان يميز بوضوح كثيرا من المحادثة ·

وبعد دقائق قليلة اخذ رفاقه من أيديهم وقادهم الى الجانب الآخر في الغرفة ، **وقال بورتس :**

ـ ماهو الموضـــوع ؟ لماذا لم تنصت لنهــاية المحادثة ؟

فقال آتوس في همس :

ـ هس ! ·· لقد سمعت كل ما أريد سماعه ، عـــلاوة عــــلى انني يجب ان اذهب قبـــل أن ينزل الكاردينال ·

فقال بورتس :

ـ وماذا سنقول له اذا سال عنك ؟

ـ لاتنتظروا حتى يسال ، تكلما اولا · قولا له ، ذهبت قبلكم لأفتش لأنني لدى سبب في الشـك في

أمي الطريق . وسأبلغ مرافق الكاردينال نفس الشيء عند خروجي · ولا تقلقا على أو بما سأفعله ·

وعاد بورتس وأراميس الى مكانيهما قرب النار · وخرج آتوس ، وفك حصانه ، وشرح لمرافق الكاردينال لماذا هو ذاهب في مقدمتهم · واعتلى جواده ، وبسيف مسحوب ركض على طول الطريق الى المعسكر !

الفصل الحادى والعشرون

ميليدى تستقبل زائرا لاتتوقعه

لم يسر آتوس مسافة طويلة قبل أن يستدير فى الطريق ويعود الى مسافة قريبة من برج الحمام الاحمر ، ونزل من على جواده ، واختبأ خلف سياج عال من الشجيرات ليس بعيدا عن الطريق · ولم ينتظر طويلا ، قبل أن يشاهد الكاردينال ورفاقه يمرون فى طريقهم عائدين الى المعسكر . وسمح لهم بالسير حتى أصبحوا بعيدين عن مدى البصر قبل أن يمتطى جواده ، ويركض بسرعة عائدا الى الفندق ·

وفتح صاحب الفندق الباب وتعرف عليه فى الحال . فقال آتوس :

ـ لقد ارسلنى الضابط الذى زار لتوه السيدة التى بالطابق العلوى لأعود برسالة لم يعطها لها ٠

فاجاب صاحب الفندق :

ـ السيدة ما زالت فى غرفتها ٠ اصعد اليها ٠

وصعد آتوس فى الحال ، سائرا بخفة قدر المستطاع . ورأى ميليدى من خلال الباب المفتوح ترتدى قبعتها ، فدخل الغرفة بلا صوت وأغلق الباب خلفه بالمزلاج ، فتسبب صوت المزلاج فى تنبه ميليدى والتفاتها ٠

وقف آتوس خلف الباب مغطى بعباءته ، وقبعته مشدودة تماما فوق عينيه ٠ فروع ميليدى هذا الشبح الصامت الثابت وكأنه تمثال ، فصرخت :

ـ من أنت ؟ وماذا تريد ؟

فتمتم آتوس :

ـ أجل ، انها هى !

وخطا نحوها حاملا قبعه ورائها عباءته .

ـ هل تعرفينني يا مدام ؟

تقدمت خطوة للامام . ثم راجعت للخلف وكانها شاهدت ثعبانا ، ثم همهمت بعد ان تحول لونها الى ابيض شاحب :

ـ الكونت دى لافير !

فاجاب آتوس :

ـ أجل . الكونت دى لافير بنفسه . زوجك . اجلسى ودعنا نتكلم كما قال الكاردنيال منذ برهة .

فجلست وهى مملوءة بالرعب . حتى انها لم تنبس بكلمة .

فقال آتوس :

ـ لم اظن مطلقا بان امراة شريرة مثلك يمكن ان يكون لها وجود . لقد اعترضت طريقى ثانية . ظننتك

شنقت في أمان . ونتخلص العالم منك . لابد انني خدعت . او انك عدت حية من الجحيم .

نكست ميليدى راسها عند سماعها هذه الكلمات التي اعادت لها صور الماضي الرهيبة .

واستمر آتوس :

ـ اجل . لقد منحتك الجحيم الحياة ثانية . واغدقت عليك بثروة . واسما مغايرا . ولكنها لم تنزع السواد من روحك ولا وصمة العار من فوق كتفك .

فقفزت ميليدي واقفة فجاة . وعيناها تومضان بالغضب وجلس آتوس لا يتحرك واستمر قائلا :

ـ لقد ظننت انني مت . تماما كظني بك . واسم آتوس يخفي كونت دي لافير . بصورة فعالة . مثلما يخفي اسم ليدى ونتر آن دي برويل الذي كان اسمك قبل زواجها . اليس كذلك ؟

فقالت ميليدى في صوت ضعيف مرتعش :

ـ ما .. ما الذى جاء بك الي ؟ ماذا تريد مني ؟

ـ اريدك أن تعلمي ، رغم اني كنت مختفيا عنك ، فحياتك كانت كتابا مفتوحا لي ٠

ـ ماذا عرفت عني ؟

ـ يمكنني ان أقول لك كل شيء فعلته يوما بيوم، من وقت ما دخلت في خدمة الكاردينال حتى هذا المساء ٠

فضحكت ميليدى ، وكأنها فاقت من اغماءة ، واستردت بعض الثقة لظنها انه يبالغ ٠

فقال آتوس بحدة : ٠

ـ انصتي ٠ ليس لدى وقت لأعطيك كشفا بكل خطاياك أو لأصف لك حياتك الشريرة ، ومع ذلك ، فعندما كشف دارتنيان سرك المشين ، هل تنكرى انك ، استأجرت رجلين ليتتبعانه ، وعندما لم تصبه رصاصاتهما مرتين ارسلت له نبيذا مسموما مع رسالة مزيفة ؟ ومنذ دقائق قليلة فقط ، وفي هذه الغرفة بالذات ، دخلت مع الكاردينال في التزام بخصوص

موت دوق باكنجهام ، ومقابل هذه الخدمة سيسمح لك الكاردينال باغتيال دارتنيان · « حياة مقابل حياة ، رجل مقابل رجل » · هذه هي الكلمات التي استخدمتيها ، أليس كذلك ؟

فصرخت ميليدى ، التي تحول وجهها الى شحوب الموتى :

ـ لابد أنك الشيطان نفسه !

فقال آتوس :

ـ ربما ، ولكن انصتي الآن بانتباه لما اقول · افعلى ما يحلو لك بخصوص دوق باكنجهام ـ اغتاليه او اعملى على اغتياله ، كل هذا لا يهمنى ·· فانا لا أعرفه ، ولكنك اذا لمست بطرف اصبعك مجرد شعرة واحدة من دارتنيان ، أقسم باسم ابى أن تكون هذه الجريمة آخر جرائمك ·

وبقى آتوس صامتا للحظات قليلة ، ناظرا بثبات الى ميليدى ، وازداد وجهه قسوة وتصميما ، ونهض من مقعده ببطء ، ثم وصلت يده الى مسدسه وسحبه ·

بدا على ميليدى الشاحبة شحوب الأموات انها قد تحولت الى حجر · حاولت أن تصرخ ، ولكن لم يخرج أى صوت من حلقها ، ورفع آتوس المسدس ببطء وبسط يده ، وعندما صوب المسدس فى اتجاه ميليدى مباشرة تكلم آتوس بتصميم بارد ، **وكان صوته رهيبا فى نبرته :**

ـ اعطنى ورقة الكاردينال الموقعة فى الحال . والا أطحت بمخك خارج راسك !

قد تشك ميليدى فى كلام أى رجل الا فى كلام آتوس · فهى تعرف أنه رجل عند كلمته . ورات فى نظرة التصميم الذى على وجهه أنه على وشك اطلاق النار فعلا ، ، فسحبت الورقة بسرعة من جيبها ، واعطتها له ، وفض آتوس الورقة وقرأ :

ـ ٣ ديسمبر ١٦٢٧ ·

انه طبقا لأوامرى ، ومن أجل صالح الدولة ، فان حامل هذا ، قد قام بما قام به ·

« ريشيليو »

وترك آتوس الغـــرفة ، بدون حتى أن ينظـــر خلفـــه ٠

وكان ينتظر خارج الفندق رجـلان على صـهوة جوادهما مع جواد اضـافي ارسـله معهما الكاردينال لقيادة ميليدي للميناء ٠

فقال آتوس وهو ذاهب نحوهما :

ـ يا سـادة ، لا تنسـوا أن الأوامر أن تصحبوا السـيدة فورا الى الميناء ، ولا تتركوها الا وهي فوق السفينة ٠

وكانت هذه التعليمات تتفق مع التى استلماها من قبل فحيا الرجلان آتوس كعلامة للموافقة ٠

وقفز أتوس على حصانه وركض بسرعة ، وبدلا من أن يتبع الطريق العادى ، اتخـذ طريقا اقصر عبر الحقول ، وتوقف مرتين وتصنت ، ولكنه لم يسمع أى صوت ، ومع ذلك ففى المرة الثالثة ، سمع صوت الجياد

فعرف انهـا جيـاد الكاردينال ورجاله . وليتجنبهم . ركض حول منعطف الى مكان في الطريق قبل المعسكر بمسافة قصيرة ، وهناك أسرع يمســح العرق من على حصانه . واتخذ موقفا في منتصف الطريق ، وانتظر . ثم صاح عندما اقتربوا منه ركبوا الجياد :

ـ من يسير هناك ؟

فقال الكاردينال :

ـ هذا هو فارسنا الشجاع ، اليس كذلك ؟

وقال بورتس :

ـ أجل يا سيدى ، انه هو !

فقال الكاردينال :

ـ سيد آتوس . اشكرك على حراستك الطيبة التي قمت بها .

ولما كانوا عند مدخل المعسكر الآن ، حيا الكاردينال الأصدقاء الثلاثة ، واتخذ الطريق الأيمن مع مرافقه ٠

فقال آتوس عندما سار الكاردينال وابتعد قليلا :

ـ معى الورقة التى وقع عليها ٠

ولم يقل الأصدقاء الثلاثة أى كلمة على طول الطريق الى ثكناتهم ، فيما عدا كلمة السر للحراس ٠

الفصل الثاني والعشرون

رهان أحمق يعقد على هدف خطير

ارسل آتوس فى طلب دارتنيان عندما وصـــلوا الى ثكناتهم • ورأى آتوس أن التحدث بحرية حيث هم ليس بأمن ، لذلك قرر مع دارتنيان أن يتناولا افطارا مبكرا في فندق القرية ، وينتحون مكانا منعزلا هناك ، ورفض آتوس ان يقول كلمة واحدة لدارتنيان حتى يصلا الى مكان يمكنهما ان يتحدثا فيه ، دون أن يسمعهما احد ، وحيث يبدو لقاؤهما طبيعيا •

ولســـوء الحظ كان الفندق مكانا غير مناسـب للمحادثات الخاصة بسبب استمرار دخول رجـــال

الحرس والفرسان وجنود من فرق أخرى من اجل تناول الوجبات الخفيفة ، لذلك تخليا عن فكرة المناقشة الخاصة بصفة مؤقتة واشتركا فى المحادثة العامة ·

وكان الحديث ، بصفة رئيسية ، عن هجوم اليوم السابق على الباستيون ، وأن قوات روشيل قد تم طردهم ، ولكن جنود الملك لم يبقوا فى الاحتلال بسبب الخطر من احتمال سقوط الجدران ·

وقال آتوس موجها كلامه الى اربعة ضباط من الحرس :

ـ يا سادة ، أريد أن أعقد رهانا · سأراهن ان رفاقى الثلاثة وانا معهم سنتناول الافطار فى الباستيون ، ونبقى هناك مدة ساعة كاملة ، رغم ما قد يفعله العدو ليجبرنا على المغادرة ·

فنظر بورتس وأراميس الى بعضهما نظرة العارفين ·

وقال مسيودى بوسيني ، واحد من الضباط :

ـ اراهن ، ولكن دعونا نحدد الرهان !

فقال آتوس :

ـ انتم اربعة يا سادة ، ونحن أربعة ، فليكن عشاؤنا فى الساعة الثامنة هنا · موافقون ؟

فوافق الضباط الاربعة فى الحال ·

ونادى آتوس على رجله ، جريمود ، واشار الى سلة كبيرة فى الركن ·

وفهم الرجل بأن عليه حمل الافطار الذى قد احضره لتوه صاحب الفندق ، ثم انطلق الاصدقاء الاربعة وتابعهم جريمود الى الباستيون ·

وعندما غادروا المعسكر التفت دارتنيان الى آتوس وقال :

ـ اخبرنى يا آتوس ، أين نحن ذاهبون ؟

ـ لماذا ، انك ترى بكل وضوح أننا ذاهبون الى الباستيون !

ـ اجل ، ولكن ماذا سنفعل هناك ؟

ـ نتناول الافطار :

فقال دارتنيان متضايقا بعض الشيء :

ـ لماذا ، الم نفطر في الفندق ؟ انك غامض جدا هذا الصباح !

فقال آتوس :

ـ لدينا أشياء هامة للمناقشة ، ومن المستحيل التحدث دقيقتين في الفندق بدون مقاطعة ، امـــا في الباستيون فسنستطيع ، على الأقل ، أن نتكلم بحرية ٠

فقال دارتنيان :

ـ يبدو لي ، انه كان يمكننا ان نجد مكانا هادئا في الحقول أو على طول شاطيء البحر ٠

فقال آتوس :

ـ سوف تتم ملاحظتنا نحن الأربعة في الحال . وسيبلغ الكاردينال خلال خمس عشرة دقيقة ، بواسطة جواسيسه باننا نعقد مجلسا ٠

واستطرد آتوس قائلا :

ـ لقد عقدنا رهانا ، واتحدى اى شخص سوانا ان يخمن الغرض الحقيقى له ، ولكى نكسب الرهان سنبقى ساعة كاملة فى الباستيون ، وسواء هاجمونا ام لا ، فلا يهم ، فسكون لدينا وقت للحديث ، وانا متأكد أن تلك الجدران ليس لها آذان ٠ واذا هوجمنا فيمكننا ايضا ان نتحدث عن شئوننا ، وعلاوة على ذلك سنكلل انفسنا بالمجد بالدفاع عن أنفسنا ٠٠ وهكذا كما ترى ، كل شيء فى صالحنا ٠

فقال دارتنيان :

ـ اجل ، ولكننا بالتأكيد سنجذب رصاصات بنادق العدو ٠

فقال آتوس :

ـ احتمال كبير ، ولكنك تعلم مثل أن الرصاصات الاكثر ارهابا لا تاتي دائما من العدو ٠

فقال بورتس :

ـ كان يجب بالتاكيد أن نسلح انفسنا لمثل هذا العمل الخطير ٠

فقال آتوس :

ـ سيكون عملا بلا جدوى ٠ هل نسيت ما قاله لنا دارتنيان عن هجوم الامس ؟

فسال بورتس بحدة :

ـ ماذا قال ؟

فقال آتوس :

ـ قتل في هجوم أمس ثمانية أو عشرة جنـــود وكثيرون من رجال روشيل في الباستيون ٠

ـ حسن ؟

فاجاب آتوس :

ـ لم يدفنوا ، ولم تجمع اسلحتهم ، وهكذا سنجد بنادقهم وبارودهم ورصاصهم ٠

ووصلوا ، عندئذ ، الباستيون ، والتفوا منعطفين لشاهد الاربعة ثلاثمائة جندي ، على الأقل ، في مجموعات صغيرة ، على طول معسكرهم ، وتعرفوا على مسيودي بوسيني واصدقائه الثلاثة في مجموعة منفصلة ٠

وخلع آتوس قبعته ، ووضعها على نهاية سيفه ولوح بها في الهواء ، وعندما دخلوا الباستيون استطاع الأربعة أن يسمعوا الهتافات البعيدة للجنود ٠

الفصل الثالث والعشرون

الاربعة يعقدون مجلسا تحت ظروف صعبة

وكما كان متوقعا ، عثر المغامرون الاربعة على دستة من جثث الموتى ممددة حيث سقطت داخل الباستيون ، فجمعوا البنادق الاثنى عشر فى الحال ، وحشوها ، استعدادا لأى هجوم ممكن ، وعندما انتهوا من ذلك ، اعلن جريمود بان الافطار جاهز .

جلس الاربعة على الارض ، حول الافطار الذى وضعه جريمود على مفرش مائدة أبيض ، واعطى آتوس لرجله نصيبه من الاكل ، وأمره بالحراسة .

فقال دارتنيان :

ـ والآن ، لا يوجد أى خوف من التصمنت ، لذا آمل ان تبوح لى بسرك ٠

فقال آتوس :

ـ السر هو انني رايت ميليدى ليلة أمس ٠

ـ رايت زوج ٠٠ !

فقاطعه آتوس :

ـ هس ! ٠٠ هل نسيت ان هؤلاء السادة لا يعرفون شيئا عن موضوع اسرتي ٠ لقد رايت ميليدى ٠

فسال دارتنيان :

ـ أين ؟

ـ فى فندق برج الحمام الأحمر ٠

فقال دارتنيان :

ـ اذن لقد ضعت ٠



جلس الأربعة على الأرض ليتناولوا افطارهم

فقال آتوس :

ـ اوه ، كلا ! ان الموضـــوع ليس بهذا السوء يا صديقى ، ومن المحتمل أن تكون قد غادرت شواطىء فرنسا الآن ٠

فاصدر دارتنيان تنهيدة ارتياح ٠

وسأل بورتس بصوته العميق :

ـ من هى ميليدى ؟

فقال آتوس :

ـ امرأة فاتنة ٠ امرأة فاتنة جدا ، ويبدو انهـا تحب دارتنيـان جدا لدرجة انهـا اسـتاجرت رجلين لاغتياله ، وحاولا مرتين وفشلا ، ثم بعثت له بهـــدية سارة من النبيذ المسموم الذى ، على فكرة ، كدنا ان نشاركه فى شربه ، وطالبت برأسه من الكاردينال ليلة أمس ٠

فصاح دارتنيان الذى شحب لونه :

ـ مستحيل !

فاضاف بورتس :

ـ اجل ، هذا حقيقي ، لقد سمعتها باذني !

فقال ارامیس :

ـ وانا ايضا ٠

فقال دارتنيان واهن الهمة تماما :

ـ اذن ، لا فائدة في ان اقاوم بعد ذلك ، وقد انجر راسي ، وينتهي كل شيء !

فقال آتوس :

ـ هذا لغباء تام ٠ حيث لا يوجد علاج من ذلك٠٠ ياللسماء ! جريمود يعطي اشـــارات باننا نتـوقع زوارا ٠

بعث جريمود بالاشـــارة أن العـدو يقترب من الباستيون ٠

فقال آتوس :

ـ كم عدد الرجال ؟

ـ عشرون ٠

ـ من أى نوع ؟

ـ ستة عشر عاملا وأربعة جنود ·

نهض آتوس ، أمسك ببندقية محشوة واقترب من فتحة في الجدار ، وقام بورتس وأراميس ودارتنيان بنفس الشيء ، ووضع جريمود نفسه في خدمتهم خلفهم مباشرة ، مستعدا لاعادة حشو الأسلحة حالما ينتهون من اطلاقها ·

واقترب العدو داخل الخندق الطويل الذى يصل المدينة بالباستيون ، ووقف آتوس بشكل واضح تماما لمراقبتهم ·

فصرخ دارتنيان :

ـ انتبه يا آتوس ! الا ترى أنهم يصوبون عليك ؟

وبالفعل أطلق الجنود الأربعة النيران في هذه اللحظة وأصابت طلقاتهم الحائط بجوار آتوس ، ولكن

لم تمسه رصاصة واحدة . فاجابوا باربع طلقات بتصويب جيد . فسقط ثلاثة جنود قتلى وجرح عامل، وغيروا بنادقهم بسرعة وأطلقوا ثانية . فسقط في هذه المرة الجندي الآمر . واثنين من العمال أمواتا . وعندئذ فر بقية الرجال هاربين .

فصاح آتوس :

ـ والآن يا سادة ، دعونا نطاردهم .

اندفع الأربعة الى خارج الباستيون نحو ميدان القتال ، ولكنهم تاكدوا في الحال أن الأعداء لن يتوقفوا حتى يصلوا الى أمان المدينة . وهكذا جمعوا بنادق الجنود الأربعة القتلى وعادوا منتصرين الى الباستيون !

وقال دارتنيان :

ـ أذكر أنك قلت بان ميليدي قد تكون غادرت شواطىء فرنسا حاليا . الى اين ؟

ـ انجلترا ٠

ـ ما هو هدفها ؟

قال آتوس :

ـ هدفها اغتيال أو التحريض على اغتيـال دوق باكنجهام ، ولكن هذا لا يزعجني على الاطلاق ٠

ثم قال ملتفتا الى رجله :

ـ جريمود ، اربط مفرش المائدة في عـامود وضعه في مكان ليرفرف منه فوق الباستيون ٠ سيبين هذا للعدو أن لديهم عملا مع جنـود شجعان مخلصين للملك ٠

فأطاع جريمود ، وعلى الفور أصبح العلم الابيض يتموج عاليا من فوق الابطال الاربعة ٠ وحيت ظهـوره هتافات بعيدة من المعسكر ٠

واستمر الأصدقاء الأربعة مع افطارهم ومحادثتهم عن ميليدى ٠

ولقد ارتعشت يدا دارتنيان عنـــدما فض وقرا الورقة التى اخذها آتوس من ميليدى جبـــرا ، وقال وكانه قرا بها الحكم باعدامه :

ـ يجب اعدام هذه الورقة !

فقال آتوس :

ـ اوه كلا ! هذه الورقة اهم بكثير مما تعتقد ٠

فسال دارتنيان :

ـ ولكن ما الذى ستفعله هى الآن ؟

فقال آتوس :

ـ تفعل ؟ بدون شك ٠٠ ستكتب للكاردينال قائلة ان فارسا ملعونا يدعى آتوس أجبرها أن تتخلى عن الورقة الحامية ، ومن المحتمل أن تنصحه بالتخلص من الصديقين أراميس وبورتس ، فى نفس الوقت ٠ وسيتذكرنا ، حيث اننا اعترضنا طريقه اكثر من مرة وصباح أحد الأيام الجميلة عنـــدما يتم القبض عـــلى

دارتنيان ، ويلقى في السجن ، سيتم ارسالنا للحاق به وللابقاء على الصحبة ٠

فقال دارتنيان :

ـ عندي فكرة ٠

فسأل الثلاثة الآخرون في صوت واحد :

ـ ما هي ؟

فقاطعهم جريمود صارخا :

ـ الى السلاح !

فقفز المغامرون الاربعة واقفين ، وامسكوا ببنادقهم ٠

كانت قوات العدو ، هذه المرة ، نحو عشرين او خمسة وعشرين تقريبا ٠ كلهم جنود مسلحون ، وليسوا عمالا ٠ فقال بورتس :

ـ هل نعود الى المعسكر ؟ لا اعتقد ان الجانبين متكافئان ٠

فاجاب آتوس :

ـ هذا مستحيل لثلاثة اسباب ٠٠ أولا ، لــم ننه الافطار بعد ٠٠ ثانيا ، لدينا بعض الموضــوعات الهامة جدا لمناقشتها ٠٠ ثالثا ، مطلوب عشر دقائق لاتمام بقائنا ساعة ٠

فقال آراميس :

ـ فى هذه الحالة ٠ دعنا نجهز خطة للمعركة ٠

فقال آتوس :

ـ لا يوجد أبسط من ذلك ٠ حالما يأتون فى مدى التصويب ، سنطلق النار ٠ واذا استمروا فى التقدم فسنطلق النار ثانية ، ونستمر فى ذلك طالما لدينــا بنادق محشوة ، واذا ثابر الباقون فى هجـــومهم ، فسنسمح لهم بالوصول الى الخندق السفلى ، ثم ندفـع اليهم بالحائط ، الذى يبدو قائما بمعجزة ٠

وافق الجميع على هذه الخطة الممتازة ، ثم صوب كل واحد منهم على جندى مختلف ٠

وصاح اتوس :

ـ اضرب !

وانطلقت البنادق الأربع فسقط جنود اربعة . وازدادت ضربات طبول العدو سرعة . وتقدمت القوات الصغيرة فى هرولة . واستمر المهيمنون على الباستيون الاربعة فى اطلاق النار . واستمر الجنود فى السقوط .. ولازالت القوات تتقدم .

ووصلت دستة من الجنود الى الخندق أخيرا . فى اسفل جدران الباستيون واستعدوا فى الحال للتسلق بدون توقف .

فصاح آتوس :

ـ والآن . الجدار ! الجدار !

فاندفع الاربعة مع جريمود نحو الجدار الضخم ، الذى كان مائلا جهة الخارج . وأخذوا يدفعون ببنادقهم عليه . حتى سقط الى اسفل الباستيون مرتطما فى

صوت مرعب على الخندق بمن فيـــه ، فعلت صرخات الجنود الذين وقعوا في الشرك بصورة مخيفة ، وارتفعت سحابة من الغبار ، ثم بدا الصمت الذى تلى ذلك غير طبيعى ٠

فقال آتوس :

ـ اتساءل ، اذا كنا قد حطمناهم جميعهم ٠

فقال دارتنيان :

ـ يبدو ذلك ٠

فصاح بورتس :

ـ كلا ! هناك ثلاثة أو أربعة يزحفون بعيدا !

كان هناك ، فى الحقيقة ، اربعة جنود ســـيئى الحظ ملطخين بالدماء يشقون طريقهم بالم على طـــول الخندق ، عائدين الى المدينـة ٠٠ وكانوا الاحيـــاء الوحيدين الذين بقوا من القوة المهاجمة ٠

الفصل الرابع والعشرون

خاتم ياتى بحل لمشكلة عويصة

قال آتوس :

ـ ياسادة ، لقد بقينا فى الباستيون ، ساعة كاملة ، ولقد كسبنا الرهان . ولكننا لا نستطيع الذهاب حتى يخبرنا دارتنيان بفكرته !

فقال دارتنيان :

ـ فكرتى .. الذهاب الى انجلترا ، وتحذير باكنجهام . لقد ظللت هناك مدة ، ولقد كان عليه أن يشكرنى كثيرا من أجل ما تم فى موضوع جواهر الملكة .

فقال آتوس :

ـ كلا ، لا نستطيع أن تفعل ذلك يا دارتنيان ٠٠ عند ماذهبت من قبل ، لم نكن فى حرب مع انجلترا ، أما الآن ، فنحن في حرب ، وهو عدو لنا ٠ وزيارتك له قد تصل الى حد الخيانة ٠

وبعد قليل انقطعت المحادثة مرة اخرى ٠ بسبب صوت انذار عام فى المدينة ٠

فقال آتوس :

ـ يبدو وكأنهم سيرسلون فرقة كاملة ضدنا ٠ دعهم يأتون ٠ انها مسيرة ربع ساعة من المدينة ٠ وأثناء ذلك ، يمكننا بالتأكيد أن نخرج بخطة ما ٠ واذا تركنا هنا ، فلن نجد مكانا آخر ملائما كهذا ، آه ! انتظر لحظة ٠٠ عندى فكرة ٠

ثم نادى جريمود ، وأشار على التوالى ، أولا ، الى جثث الموتى من الجنود الموجودين فى الباستيون ، ثم الى الجدران ، ثم الى قبعاتهم وبنادقهم ٠

فصرخ دارتنيان :

ـ اوه ، يا للرجل العظيم ! الآن فهمت ٠

فقال بورتس :

ـ أنت ! فهمت ؟

فقال اراميس :

ـ هل فهمت يا جريمود ؟

كان جريمود قد بدأ في العمل والتنفيذ بالفعل ٠

فقال آتوس :

ـ والآن ، من أجل فكرتي ٠ هذه السيدة ميليدي ، هذه المخلوقة ، هذه المرأة الشريرة لها أخ لزوجـــها ، أليس كذلك يا دارتنيان ؟

ـ أجل ؛ أعرفه جيدا ؛ واعرف ايضا ان عاطفته نحو زوجة أخيه ليست ودودة ٠

فأجاب آتوس :

ـ اذا كان يكرهها فهذا أفضل ٠

فقال بورتس :

ـ ومع ذلك ! أود أن أعرف ما يفعله جريمود ؟

فقال ارامیس :

ـ اسمع يابورتس .

فقال آتوس :

ـ ما اسم أخ الزوج هذا ؟

ـ لورد ونتر .

ـ واين هو الآن ؟

ـ لقد عاد الى انجلترا منذ أول اشارة للحرب .

ـ حسن ، دعنا نحذره من زيارتها ومن غرضها .. بالتاكيد سيستطيع أن يجد مكانا ما يمكن أن يسجنها فيه ، وعندئذ سنكون فى سلام .

فقال بورتس :

ـ بالرغم من اننا لا نستطيع أن نترك المعسكر للذهاب الى انجلترا ، ولكن يمكن ارسال رجالنا .

فقال ارامیس :

ـ بالطبع يمكنهم . دعنا نكتب رسالتنا ؛ ونزود رسولنا بنقود كافية . ويمكنه ان يبدأ رحلته اليوم .

فسأل آتوس :

ـ نقود ؟ هل معكم أى نقود ؟

ونظر الاربعة لبعضهم البعض بوجوه عابسة ، عالمين أن الأربعة جميعهم لا يستطيعون توفير المبلغ الكافى للرحلة ·

فصرخ دارتنيان قافزا على قدميه :

ـ انتبهوا ! هل تحدثت عن فرقة يا آتوس ؟ لماذا ، فهناك جيش يتقدم !

فقال آتوس :

ـ بشرفى ! انك على حق ، جريمود ، هل انتهيت ؟

فأشار جريمود الى دستة الجثث التى وضعها مقابل الحائط ، والبعض يحمل البنادق ، والبعض الآخر يبدو وكأنهم يصوبون على أهداف ·

فصرخ آتوس :

ـ برالو ! هذا يدل على ان لك خيـــالا عظيما يا جريمود ·

فقال بورتس :

ـ كل هذا جميل جدا ، ولكنى احب ان أفهم !

ـ دعنا نخرج من هنا وستفهم فيما بعد ·

كان جريمود قد خرج بالفعل مع سلة الافطار ، ثم غادر الأصدقاء الأربعة ، ولكن عندما وصلوا للخارج توقف آتوس مترددا · فسأل اراميس :

ـ هل نسيت اى شيء ؟

ـ العلم ! يجب الا نترك العلم فى ايدى الأعداء ، حتى ولو كان مفرشا لمائدة ·

وركض ثانية الى الباستيون ، وتسلق الى القمة ، وأنزل المفرش · كان العدو ، فى هذا الوقت ، على مدى

مرمى البندقية ، ولذلك عندما شاهدوا رجــلا يعرض نفسه لهم بحماقة ، أطلقوا النار عليه ·

ولم يصب آتوس ، اذ يبدو أنه يحمل تعويــذة للحياة ، ومع ذلك مرت ثلاث رصاصات عبر المفرش فجعلت منه راية حقيقية ·

وتسلق آتوس نازلا الى أن التحق بأصدقائه الذين انتظروه في هدوء ، وأداروا ظهورهم الى الباستيون ، واتجهوا نحو المعسكر في خطوات بطيئة ·

وبعد برهة وجيزة سمعوا اطـلاق نار متواصـــل وسريع ·

فصرخ بورتس :

ـ ما هذا ؟ على ماذا يطلقون النار الآن ؟ فلا تأتي طلقات في اتجاهنا ، ولا أستطيع أن أرى أحدا !

فقال آتوس :

ـ انهم يطلقــــون النار عـــلى الجنود المــوتى في الباستيون ·

ـ ولكن الموتى لا يقدرون على الرد بالمثل ·

ـ بالطبع لا ، ولكن عندما يكتشف الجيش الخدعة. سنكون في أمان ، بعيدين عن مرمى بنادقهم ·

وهذا هو السبب في أننا لسنا في حاجة للجرى حتى لا نصاب بالبرد ·

فقال بورتس المذهول :

ـ آه ·· والآن فهمت !

فقال آتوس بهزة بطيئة من رأسه :

ـ أخيرا !

ومع ذلك بدأت ، في الحال ، تنهال الطلقات على المغامرين الأربعة ، اذ بدأ العدو يأخذ الآن مواقعه في الباستيون · فقال آتوس :

ـ بشرفي ! انهم جنود مساكين · أتساءل كم قتلنا ! دستة ؟

ـ أو خمسة عشر .

ـ كم سحقنا تحت الجدار ؟

ـ ثمانية أو عشرة .

ـ وبالمقابل لم نصب بخدش .. ولكن ماذا في يدك يا دارتنيان ؟ يبدو أنها تدمى .

فقال دارتنيان :

ـ أوه ، لا شيء .. لقد انحشر اصبعي بين حجرين ، حجر في الحائط وحجر في خاتمي ، فانتزع الجلد . هذا كل شيء .

فقال آتوس :

ـ هذه نتيجة لبس الماس يا صديقي الشاب .

فصرخ بورتس :

ـ لماذا ! طبعا توجد الماسة .. لماذا نزعج أنفسنا بخصوص النقود ، ومعنا ماسة .

فقال آتوس :

ـ فكرة حسنة من بورتس ، هذه المرة ·

فقال بورتس وهو سعيد جدا لسماع اطراء آتوس :

ـ بالتأكيد ، وحيث لدينا ماسة فدعنا نبيعها ·

فقال دارتنيان :

ـ ولكنها الماسة التى أعطتها لى الملكة ·

فقال آتوس :

ـ وهذا سبب قوى يجعلنا نبيعها من أجلـــه ، ألسنا ذاهبين لانقاذ صديق الملكة ، دوق باكنجهـــام ؟ ماذا تظن يا أراميس ؟ لقد أعطانا بورتس رايه من قبل ·

فأجاب أراميس فى صوت منخفض لطيف :

ـ طالما أن الخاتم لم يمنح كرمز للصداقة ، ولكن ببساطة كجائزة لخدمات قيمة ، فلا ارى اى سبب يمنع بيعه ·

فقال آتوس :

ـ عزيزى أراميس ، انك تتكلم كراهب المستقبل ، نصيحتك هى ـ ؟

فاجاب اراميس :

ـ بيع الماسة !

فقال دارتنيان :

ـ حسن جدا ، دعونا نبيع الماسة ·

فقال آتوس :

ـ والآن ياسادة ، اننا تقريبا وصلنا المعسكر ، فلا كلام فى موضوعنا ·

الفصل الخامس والعشرون

يحقق دارتنيان اعظم امنياته ، وأراميس يكتب رسالة صعبة

وقف آلاف من الجنود على مشارف المعسكر ، وكانت هتافاتهم تملأ الهواء أثناء عودة أصدقائنا الأربعة من مغامراتهم المجيدة ، حتى ولو كانت حمقاء ، والتى لا يرتاب أحد فى الدافع الحقيقى لها .. ولفترة من الوقت لم يسمع الا « عاش الفرسان » ، « عاش الحرس » ، وأصبحت الضجة فى الحقيقة مرتفعة جدا ، لدرجة أن الكاردينال أرسل رئيس حرسه ليرى ماذا يدور .

وبعد قليل عاد الرئيس بالأخبار . قال الرئيس :

ـ ثلاثة من الفرسان ، وواحد من رجال حرس مسيو ديزيسارت يا سيدى ، عقدوا رهانا مع مسيــــو دى بوسينى على أن يفطروا فى الباستيون ، ويبقوا هناك لمدة ساعة ، بل يبدو أنهم لم يبقوا هناك ساعة واحدة بل اثنتين وهيمنوا على الباستيون ضد عدة هجمات من قبل العدو ، وقتلوا لا أدرى كم ٠

ـ هل حصلت على أسماء هؤلاء الفرسان الثلاثة ؟

ـ أجل يا سيدى ، انهم السادة : آتوس ، بورتس، أراميس ٠

فهمهم الكاردينال لنفسه :

ـ هؤلاء الثلاثة مرة أخرى ٠٠ ورجل الحرس ؟

ـ مسيو دارتنيان يا سيدى ٠

ففكر الكاردينال :

ـ آه ! فى الحقيقة ٠٠ يجب أن أضـــم هؤلاء الرجال فى خدمتى ٠

وفيما بعد ، تحدث الكاردينال ، أثناء النهار ، مع مسيو دى تريفى عن مغامرة الصباح . كان لا يستطيع تجنب ذلك ، حيث انه كان حديث المعسكر كله . ووصل لمسيو دى تريفى بيان بالموضوع كلـــه ، من الأصدقاء الأربعة ، فاعاد القصة بالتفصيل الكامل ، ولم يغفل الجزء الخاص بالمفرش ، الذى استخدموه كعلم .

فقال الكاردينال :

ـ ممتاز . من فضلك دعهم يرسلوا لى المفرش ، سأجعلهم يطرزون عليه ثلاث زهرات سوسن بالذهب، لأقدمه الى سريتكم ـ سرية الفرسان ـ كعلم .

فقال مسيو دى تريفى بدون تردد :

ـ هذا سيكون اجحافا برجال الحرس ، فمسيو دارتنيان ليس معى ، بل يخدم في الحرس ، تحت امرة مسيو ديزيسارت .

فقال الكاردينال :

ـ حسن ، اذن نصبه « فارسا » . طالما ان الرجال الأربعة مرتبطون هكذا مع بعضهم البعض ، فليس من العدل الا يخدموا سويا .

وعندما سمع دارتنيان الخبر ، كـاد يطـير من الفرحة ، فحلم حياته أن يكون فارسـا ، ولم يقـل اصدقاؤه الثلاثة سعادة عنه .

قال دارتنيان :

ـ ياللسماء ! آتوس ، لقد كانت فكرتك أفضل من ظنك بها . لقد كللنا المجد ! انني فارس ! وكنا نعقد محادثاتنا سرا .

فقال آتوس :

ـ أجل ، والآن ؛ يمكننا أن نكملها بدون أن يرتاب في أمرنا أحد وفي ذلك المساء قدم دارتنيان نفسه الى مسيو ديزيسارت ؛ قبل أن ينتقل الى الفرسان ، وفكر

مسيو ديزيسارت في دارتنيان كثيرا ، وعرض أن يقرضه نقودا لتغطية تكاليف الزى الجديد ، والضروريات الأخرى ، وشكره دارتنيان . ولكنه رفض المساعدة ..
ومع ذلك ، انتهز الفرصة ليسأل مسيو ديزيسارت أن يثمن له الماسة . لأنه يرغب في بيعها .

وبعد ظهر اليوم التالى زار مرافق مسيو ديزيسات دارتنيان وسلمه حقيبة تحتوى على سبعة آلاف من الجنيهات ، ثمنا لخاتم الملكة الماسى .

وبعد ذلك بليال قليلة اجتمع الأصدقاء الأربعة لينهوا محادثاتهم الخاصة ، وبقى فقط ان يكتبوا الرسالة ، وقرروا أيا من رجالهم سيأخذها .

وبعد كثير من المناقشات والمداولات ، تركوا كتابة الرسالة لأراميس استاذ وراهب المستقبل ، فكتب ما يلي :

سيدى اللورد ·

كان للشخص الذى يكتب لك هذه السطور القليلة الشرف فى المبارزة بالسيف معك فى تحويطة صغيرة خلف اللوكسمبرج · ولما كنت اعلنت عدة مرات ، منذ ذلك الحين ، بانك نفسك صديق لهذا الشخص ، فكر أنه من واجبه ، مقابل هذه الصداقة ، أن يرسل لك معلومة هامة · كنت ذات مرة على وشك أن تكون ضحية لقريبة لك ، تعتقد أنها وريثتك ، لانك لا تعلم أنها قبل زواجها فى انجلترا كانت متزوجة فى فرنسا · ولكنك فى هذه المرة ، قد تفقد حياتك · لقد تركت قريبتـــك روشيل الى انجلترا خلال الليل · راقب وصولها · لان لديها خططا كبيرة ومخيفة · اذا أردت أن تعرف وتتأكد من مقدرتها فلتقرأ تاريخها الماضى على كتفها الأيسر ·

واتخذوا القرار بارسال بلانشيت ـ رجل دارتنيان ـ بالرسالة الى لندن ـ فنادوا على بلانشيت ، وأعطـوه التعليمات مع سبعمائة جنيه للرحلة ، ووعدوه بسبعمائة أخرى عند عودته ·

وقال له دارتنيان :

ـ والآن ، لديك ثمانية أيام لتصل الى لورد ونتر ، وثمانية أيام للرجوع ، واذا لم تعد بعد ستة عشر يوما من بعد غد في الساعة الثامنة مساء ، حتى ولو خمس دقائق متأخرا ، فلن توجد نقود لك ٠

فقال بلانشيت :

ـ اذن ، لا بد أن تشترى لى ساعة ٠

فقال آتوس بكرم ، معطيا له ساعته :

ـ خذ هذه ، ولكن تذكر اذا تكلمت ، اذا شربت ، فستضع سيدك في خطر ٠ وتذكر أيضا ، اذا حدثت اى بلية لدارتنيان بسبب اى غلطة منك فساجدك في اى مكان ستكون فيه وأمزقك اربا ٠

فقال بورتس وهو يلف عينيه الواسعتين :

ـ وتذكر ، ساسلخ انا جلدك حيا ٠

وقال اراميس ببطء فى صوته الهادىء اللطيف :

ـ وانا ساشويك فوق نار بطيئة ·

واخذ دارتنيان رجله للخارج ، وتكلم معه بهدوء ، ولكن بجدية :

ـ انت تعرف اصـــدقائى الثلاثة جيدا ، انهم يتحدثون بهذه الطريقة فقط ، بسبب عاطفتهم نحوى ·

فاجاب الرجل والدموع فى عينيه :

ـ آه ياسيدى · سانجح ، والا ساقتل ·

فقال دارتنيان :

ـ اذهب الآن ، وارتاح · واحفظ الرسالة عن ظهر قلب وبعد ذلك خيطها فى بطانة سترتك ·

وفى اليوم التالى ، عندما كان يتاهب للذهاب ، اخذه دارتنيان جانبا وقال له :

ـ والآن ، انصت بعناية ·· عندما تسلم الرسالة للورد ونتر ، ويقرأها ستقول له : (اسهر على دوق باكنجهام ، لانهم يرغبون في اغتياله) · هذه يابلانشيت خطيرة جدا ، وسرية جدا ، وتستحق أكثر من حياتي لكتابتها ، ومع ذلك ، أنا أثق فيك عليها ·

فاجاب بلانشيت :

ـ كن متأكدا يا سيدى ، سوف ترى انك لم تخطىء في موضع ثقتك ·

وفي تمام الساعة الثامنة من مساء اليوم السادس عشر ، بعد مغادرته ، سلم بلانشيت نفسه ثانية لسيده ، ودس في يده التعليق ·

وهمس دارتنيان لأصدقائه :

ـ معى التعليق ·

فقال آتوس :

ـ رائع ، دعنا نذهب البيت ونقرأه ·

كان التعليق يتكون من نصف سطر ، مكتوب بخط انجليزى واضح :

ـ « شكرا لك ، لا تقلق » !

واخذ آتوس بالتعليق ، والقى به في النار ، وانتظر حتى احترق وتحول الى رماد ·

وقال دارتنيان لبلانشيت :

ـ اذهب لفراشك ، واخلد للنوم ·

ـ أجل يا سيدى ، وستكون أول مرة افعل ذلك منذ ستة عشر يوما ·

فقال دارتنيان :

ـ وانا ايضا ·

وقال بورتس :

ـ وانا ايضا ·

وقال اراميس :

ـ وانا ايضا ·

وقال آتوس :

ـ حسن ، اذا أردتم الحقيقة ، وانا ايضا !!

الفصل السادس والعشرون
العدالة

استلم لورد ونتر الرسالة التى حملها له بلانشيت فى وقت مناسب له ، ليشدد المراقبة على ميليدى فى جميع الموانى الجنوبية لانجلترا . وعند وصولها تم اعتقالها فى الحال ، وسجنت بموافقة دوق باكنجهام فى احدى قلاع لورد ونتر . ولم يكن لورد ونتر يدرك تماما أى نوع من النساء كانت ميليدى ، ولو كان يعرف لما تركها تبعد عن بصره مطلقا ، ولكان قيد يديها وقدميها بالسلاسل فى الحائط ولاحتفظ بمفاتيح زنزانتها لديه .

ففى أقل من اسبوع هربت ميليدى من سجنها مع سجانها ، مستر فيلتون ، الضابط الصغير فى البحرية سابقا ، وفى الفجر التالى ليوم هروبها ، كانت على ظهر السفينة المتجهة الى فرنسا .

لقد وضع لورد ونتر ، مستر فيلتون كمسئول وحيد عن أسرها . وكان من واجبه الاشراف على وجباتها بشكل شخصى ، ومراقبة الحراس، ويعمل على أن يتغيروا كل ساعتين ، ويحتفظ بمفاتيح زنزانتها دائما فى حوزته . اكتشفت ميليدى فى الحال أن فيلتون كان يكره دوق باكنجهام كالسم ، لأنه ـ لسبب ما ـ قد عارض فى ترقيته فى البحرية ، وبالتالى أجبره ان يخدم على الشاطىء ، وبسرعة اشعلت هذه الكراهية وحولتها الى لهيب ، وتظاهرت بانها أيضا كانت احدى ضحاياه . كانت قصتها انها أجبرت على الحضور لانجلترا بواسطة خدعة ، وأسرت وسجنت افتراء بناء على أوامر الدوق لأنها رفضت ان تتزوجه . وكان من الواضح أن الدوق يستعد لتعذيبها حتى ترضخ .

وبسرعة كسبت مواساة السجين الشاب بجمالها ، ودموعها ، وكذباتها ، بل أصبح هو نفسه متيما في حب سجينته الجميلة بشكل أعمى . وبعد ذلك ، لم تأخذ وقتا طويلا في اقناعه بأن يقتل الدوق سيء السمعة . وبذلك سيكون قد أدى عملا نبيلا ، وسينقذ شرف فتاة عاجزة بريئة ، وفي نفس الوقت يحرر انجلترا من رجل ظالم قاس .

كان هناك تأخير عدة ساعات قبل ابلاغ لورد ونتر بهروبها وبالغياب الغريب لفيلتون ، فأرسلت الأخبار فورا الى باكنجهام لتحذيره من الخطر ، ولـــكن فات الأوان ، فالوقت كان متأخرا جدا ، فالقاتل فيلتون ، كان قد ارتكب جريمته الفظيعة ، وهكذا ، رغم سجنها حققت ميليدى مهمتها ، وكانت المذنبة الفعلية للجريمة ، وكان السكين القاتل كان في يدها .

وابحر لورد ونتر في نفس اليوم الى فرنسا ، لملاحقة ميليدى . لم يكن صعبا عليه أن يتتبع تحركات مثل هذه المسافرة جميلة المحيا ، والتى تدفع بالذهب مقابل الخدمات في مختلف الفنادق التى كانت تتوقف

عندها .. ولكنه فقد اثرها عند وصوله الى بيثونى .
فقد كانت قد غادرت الى ارميندبرى . انما ، وكأنها يد القدر التى جمعت آتوس وبورتس وأراميس ودارتنيان، فقد كانوا فى بيثونى لمهمة خاصة ، فأخبرهم لورد ونتر بكل ما حدث . وقال :

ـ وهكذا ، كما ترون ، يجب اتخاذ اجراءات القبض على هذه المرأة الشريرة ، وعقابها فى أقرب وقت ممكن ، وهذا واجب على أنا أن أقوم بتحقيقه ، حيث اكتشفت اخيرا ، بانها هى التى تسببت فى موت اخى عن طريق تسميمه .

وقامت عاصفة فى تلك الليلة ، وخرج آتوس رغم المطر الغزير بمفرده فى الظلام ، وقام بزيارة غامضة بالقرية . وتأخر الاقلاع لارمينترى فى اليوم التالى لفترة غير طويلة ، وصل خلالها رجل طويل ملثم . يرتدى عباءة حمراء طويلة وكان يعرفه آتوس ، ولكنه لم يقم بتقديمه لأحد ، ولما كان آتوس يترأس الفرقة حاليا ، فلم توجه اليه اية أسئلة ... وساروا فى صمت عبر الوحل العميق والمطر الغزير .

وانتهت ملاحقة ميليدى في وقت متأخر من تلك الليلة عند ارمنتيرى . لقد انعقدت محاكمتها فورا من غير الرسميات العادية ، وكان الشهود هم : آتوس وبورتس وأراميس ودارتنيان ولورد ونتر والرجل الطويل الملثم ... وصدر الحكم ـ الموت على يد الجلاد العام .

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل عندما انطلقت الفرقة مع ميليدى ، في آخر رحلة تقوم بها في هذا العالم .. وحدات العاصفة . وكان الطبيعة نفسها قد رضيت أخيرا لأن العدالة ستقوم .. وظهر القمر المتصب الكامد ، الذى لا يزيد عن هلال أحمر بلون الدم في الأنفاس الأخيرة للعاصفة الراحلة مشنوقا على ارتفاع منخفض في السماء ، مقابل خلفية من الضوء الباهت ، والهياكل المظلمة لمنازل ارمنتيرى ، التى يمكن بالكاد تمييزها .

وعلى بعد مسافة قصيرة أمام الفريق الصامت ، تفيض ببطء المياه المتمضة لنهر ليز ، وكانه نهر من

رصاص · وكان يحف بالضفة الأخرى البعيدة ، حشد من الأشجار تجاه سماء مازال نصفها مملوءا بالسحب المتكسرة العاكسة لضوء القمر والتى تلمع بنوع من البرق مخيف ·

وتقبع فى حقل على يسار الطريق طاحونة هواء قديمة مهجورة ، لها ذراع واحد عملاق لا حراك فيه كان يتجه الى اعلى ، تماما مثل اصبع اتهام ضخم للعالم اجمع ·· واصدرت ، من بين الأطلال ، بومة منعزلة صرخة حداد مريبة متقطعة ·· وكانت ، على يمين ويسار الطريق الذى تمر فيه المجموعة المضمومة ، الشجيرات والأشجار المتصوعة ، والتى تبدو كأقزام مشوهين يراقبون بعيون مستفسرة هؤلاء الذين تجاسروا ليخرجوا ليلا فى هذه الساعة النحس ·

وعلى فترات ، وفى فجائية مروعة يضىء الأفق على طول مداه كله ، صفحة عريضة من البرق القاصف. فى وثبات خاطفة على كتلة الأشجار السوداء ، ومثل السيف الباتر فاصلا السماء عن كل اتصال بالأرض ·· ولم يزعج الجو المغسول بالمطر اى نسمة هواء ·· وخيم

على الجميع صمت كالموت · اما الأرض فكانت محملة بالمياه التى تتـألق مع قطرات المطر الأخيرة ، ونثرت الشجيرات والأعشاب المنتعشة رحيقها فملأ الجو كله ·

وعندما وصلوا الى النهر توقفت الفرقة . وقيد الرجل الطويل الملثم يدى ميليدى فى صمت ، ووضعها فى معدية وعبر معها الى الضفة المقابلة للنهر ·

وبرزت هناك فى سواد مقابل خلفية من الضوء القادم من القمر ، رؤية سيف الرجل الملثم ذى المقبضين، وهو يرفع ويسقط مرة واحدة مؤديا واجبه ·· انه الجلاد العام ·· وهو الذى وسم ميليدى بزهرات السوسن منذ أحد عشر عاما فى ميدان عام بمدينة ليل ·

الفصل السابع والعشرون

يتعرف نيافته على خط يده ، ويصدر قرارا حكيما

اصبح من عادة أصدقائنا الأربعة ، عندما لا يكونون مع الملك أن يقضوا وقت فراغهم فى فندقهم المحبب .. وهناك ، لا يلعبون الورق ، ولا يشربون ، ولكن يتجاذبون أطراف الحديث فى هدوء ، منتبهين مع ذلك الى عدم وجود من يتصنت عليهم .

وفى أحد الايام ، وهم يتبادلون الحديث فى هدوء بالفندق ، سمع دارتنيان اسمه يذكر ، ولما رفع بصره ، رأى رجل ميونج المجهول ، وبصرخة رضا سحب سيفه واندفع نحو الباب .

وبدلا من أن يتجنبه ، هذه المرة ، نزل المجهول من على جواده ، وتقدم لمقابلة دارتنيان .

فقال دارتنيان :

ـ آه يا سيدى ، اخيرا نلتقى ! ولكن لن تفلت منى هذه المرة .

ـ هذه ليست نيتى يا سيدى ، فانا ابحث عنك هذه المرة ، وباسم الملك أقبض عليك .

فصرخ دارتنيان :

ـ ماذا تقول ؟

ـ يجب أن تسلم سيفك لى ياسيدى بدون مقاومة . وأحذرك بأن الأمر خطير جدا .

فسأل دارتنيان خافضا سيفه دون أن يسلمه :

ـ من أنت ! اذن ؟

ـ أنا الشيفاليه (*)دى روشفورت المرافق الشخصى

(*) نبيل فرنسى من الدرجة الدنيا .

لنيافة الكاردينال ريشيليو .. لكنى اوامر بان اقودك الى نيافته .

فقال آتوس مقاطعا :

ـ اننا كنا بالمصادفة فى طريقنا اليه ، ولذلك آمل ان تقبل كلمة مسيو دارتنيان بانه سيذهب مباشرة لتقديم نفسه .

ـ ومع ذلك يجب ان اسلمه للحرس .

فقال آتوس :

ـ ستكون حرسه ياسيدى .. كلمة شرف من فرسان .

ثم اضاف بنظرة صارمة :

ـ وبكلمة شرف ايضا ، كفرسان لن يغادرنا مسيو دارتنيان .

نظر الشيفاليه دى روشفورت خلفه فرأى بورتس وأراميس ، فادرك انه تحت رحمة هؤلاء الرجال الاربعة .

ـ ياسادة ، اذا ناولني مسيو دارتنيان سيفه . والحنه بكلمة شرف منه لكلمتكم ساكون مكتفيا بوعدكم أن تاخذوه الى نيافنه .

فقال دارتنيان :

ـ اعطيك كلمة شرف ، وها هو سيفى .

فقال روشفورت :

ـ هذا يناسبني جدا . حيث أرغب فى مواصلة رحلتى .

فقال آتوس بهدوء :

ـ اذا كنت تأمل فى مقابلة ميليدى ، فلا تضيع وقتك ، لأنك لن تجدها .

فسأل الشيفاليه بشغف :

ـ ماذا حدث لها اذن ؟

ـ ارجع معنا ، وستعرف .

وعند عودة الكاردينال الى مكتبه في المساء التالى ، راى دارتنيان منتظرا حتى يطلبه · ولاحظ أن دارتنيان بدون سيفه ، ولاحظ ايضا ان الذين يحرسونه هم الفرسان الثلاثة الذين ليسوا الا الثلاثة غير المنفصلين : آتوس وبورتس وأراميس ·

وكان مع الكاردينال عدد من المرافقين ، لذلك فقد نظر بجدية الى دارتنيان واشار له بيده أن يتبعه فاطاعه دارتنيان ·

فقال آتوس فى صوت عال ليسمعه الكاردينال :

ـ سننتظرك يا دارتنيان ·

فعبس الكاردينال وتردد ، ثم سار فى تفكير عميق الى مكتبه ·

ودخل مكتبه ، وأمر روشفورت ان يسمح للفارس الصغير بالدخول ·

وفى الحال وجد دارتنيان نفسه بمفرده مع

الكاردينـال الذى وقف بالقرب من المدفأة ، وكانت المائدة بينه وبين دارتنيان .

وقال الكاردينال :

ـ لقد تم القبض عليك حسب أوامرى . أتدرى لماذا ؟

ـ كلا ، ياسيدى . طالما أن الشيء الوحيد الذى تستطيع أن تقبض على من أجله لا تعرفه نيافتك بعد .

فنظر الكاردينال بثبات الى الفتى وقال :

ـ آه ! ما معنى هذا ؟

ـ هل تشرفنى نيافتك أولا بابلاغى بالجرائم المتهم فيها ؟ .

فقال الكاردينال :

ـ أنت متهم بجرائم كثيرة !

فسأل دارتنيان بهدوء حتى أن الكاردينال كان مذهولا :

ـ ما هى يا سيدى ؟

ـ انت متهم بالمراسلة مع أعداء فرنسا ، انت متهم بكشف أسرار الدولة . أنت متهم بمحاولتك قلب خطط رئاستك ٠

فسأل دارتنيان بحزم مقتنعا بأن الاتهام قادم من ميليدى :

ـ من اتهمني بذلك ياسيدى ؟ امرأة موسومة من قبل عدالة البلد ، امرأة متزوجة من رجل في فرنسا وآخر في انجلترا ، امرأة قتلت زوجها الثاني بالسم. وحاولت أن تتسبب لي اغتيالى مرتين ثم تسميمى ؟

فصاح الكاردينال في اندهاش :

ـ ما الذى تقوله ياسيدى ؟ عن أى امرأة تتكلم ؟

فأجاب دارتنيان :

ـ عن ميليدى ونتر ٠ لا شك أن نيافتك تجهل جرائمها والا لما كنت قد شرفتها بثقتك ٠

فقال الكاردينال :

ـ سيدى ، اذا كانت ميليدى قد اقترفت هذه الجرائم الذى تتهمها بها فسوف تعاقب ٠

فقال دارتنيان :

ـ لقد حدث ، وتمت معاقبتها ياسيدى !

ثم اخبره بالمحاكمة السرية وتنفيذ الحكم الفورى عن ميليدى ٠

ثم اضاف دارتنيان :

ـ ان غيرى كان يجيب فخامتكم بان لديه عفوك فى جيبه ٠

فقال ريشيليو فى تعجب :

ـ عفوى ٠ وموقع من من ؟

ـ من قبل نيافتكم ٠

ـ من قبل ! انك مخبول يا سيدى :

فاجاب دارتنيان :

- بلا شك ، ستتعرف نيافتكم على خط يدكم ·

ثم قدم قطعة الورق القيمة التى حصـــل عليها آتوس من ميليدى ، واعطاها لدارتنيان كحماية ·

واخذ الكاردينـــال الورقة ، وقراها فى صوت بطىء :

- ٣ ديسمبر ١٦٢٧

انه طبقا لاوامرى ، ومن اجل صالح الدولة ، فان حامل هذا ، قد قام بما قام به ·

• ريشيليو •

وقف الكاردينال مستغرقا في تفكير عميق بعدما قرا هذين السطرين ، وبدا عليه التردد ، لأنه قلب الورقة في يده مرات ومرات ·

وفي النهاية رفع راســـه ونظر بثبات الى وجه دارتنيان الذكى الصريح ، ورأى ما قد يقدمه نشاطه

وشجاعته وادراكه لقائد حكيم · وميليدى ـ بجرائمها وسلطانها وشرورها ـ قد أزعجت تفكيره أكثر من مرة، والآن حيث انها ماتت ، شعر داخليا بالراحة ·

ثم جاء الى قراره ، ومزق الورقة ببطء ·

وذهب الى مكتبه ، وكتب اسطرا قليلة على صفحة مطبوعة تبدو هامة المظهر ، ثم ، وقع عليها ، ثم قال :

ـ يا فتى ، لقد اخذت منك ورقة لأعطيك أخرى· مطلوب اسم على هـذه الورقة التي اعطيتهـا لك ·· يمكنك كتابته بنفسك ·

واخذ دارتنيان الورقة باصابع مترددة ، وقراها · كانت : ضابط مفوض في الفرسان ·

فقال دارتنيان راكعا :

ـ سيدى · انني لا أستحق هذا الجميل · فلدى أصدقاء ثلاثة أحق منى ·

فقـاطعه الكاردينال مـبتسما في أنه كـسب اخيرا الجاسكونى الهائج الطبع في صفه :



اني لا استحق هذا الجميل يا سيدي !

- انك فتى شجاع يا دارتنيان · سجل أي اسم تحب ، ولكن تذكر انني منحت المفوضية لك ·

ونادى ريشيليو ، عند ذلك . على روشفورت ، الذي كان منتظرا خارج الباب ، وقال :

- روشفورت ، من الآن فصاعدا ، يتم استقبال مسيو دارتنيان كأحد أصدقائي ·

صافحا بعضكما ، وكونا حكيمين اذا اردتما انقاذ راسيكما ·

وفي ذلك المساء ذهب دارتنيان الى آتوس وقدم له المفوضية ·

فقال آتوس :

- صديقي ، انها لشرف عظيم جدا لآتوس ولكن لكونت دي لافير تقريبا لا شيء ·

احتفظ بها . انها تخصك أنت ·

ثم زار بورتس ، ولـكنه رفض على اسـاس انه سيتزوج قائلا :

– سأكون منشغلا باموري وبارضي لأتمتع بهذا الامتياز . احتفظ بالمفوضية يا صديقي .. احتفظ بها !

وكان اراميس منهمكا في دراساته ، عندما زاره دارتنيان وقدم له المفوضية .

فقال اراميس :

– مع الأسف يا صديقي العزيز . ان مغامراتنا الاخيرة جعلتني اشمئز من حياة العسكرية . انني على وشك الدخول الى الدير . احتفظ بالمفوضية يا دارتنيان فمهنة السلاح تلائمك .

وعاد الى آتوس ، وابلغه كيف رفض الاثنـان الآخران ، وكان قلبه مفعما بالفرحة ، وعيناه مبتلتين بالدموع ، امتنانا وعرفانا بجميل رفاقه الثلاثة .

واخذ آتوس الوثيقة ، وكتب بيد ثابتة جسورة اسم دارتنيان بالكامل !!